الشركة في الطبيعة الإلهية

دراسة للأصول الرسولية
الأرثوذكسية للخلاص
القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة

دكتور
جورج حبيب باوي

الشركة في الطبيعة الإلهية

دراسة للأصول الرسولية
الأرثوذكسية للخلاص

القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة

دكتور

جورج حبيب بباوي

أستاذ بجامعات انجلترا

برمنجهام – نوتنجهام – كامبريدج سابقاً

عميد المعهد الأرثوذكسي جامعة كامبريدج سابقاً

أستاذ زائر بجامعات الولايات المتحدة الأمريكية

إسم الكتاب : الشركة في الطبيعة الإلهية

دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص

القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة

المؤلـــــف : الدكتور جورج حبيب بباوي

الناشـــــر: الدكتور جورج حبيب بباوي

رقم الإيـداع : **٢٠٠٧/٤٧٥٩**

الطبعة الأولى: فبراير ٢٠٠٧ ميلادية

المحتويات

كلمة لابد منها

عندما كتب الإنجيلي يوحنا "الكلمة صار جسداً وسكن فينا" (يو ١: ١٤)، فقد وضع أول لبنة في بناء كبير شُيِّد على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (أف ٢: ٢٠).

إن تجسُّد الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح هو الذي فتح لنا كنوز الحياة الإلهية. ولذلك، من الصعب على أي إنسان يقرأ العهد الجديد أن يهرب من مواجهة مع كلمات وإعلانات وتعاليم هي بكل المقاييس ضد ما هو سائد في كل حضارات وثقافات الشعوب... مواجهة مع تجسُّد ابن الله... مواجهة مع هبة الحياة... وهذه هي بعض كلمات الوحي المقدس:

المسيح هو الحياة

" أنا هو القيامة والحياة " (يو ١١: ٢٥).

" الحياة قد أُظهرت... الحياة الأبدية التي كانت عند الآب، وأُظهرت لنا... لتكون لكم شركة معنا، وشركتنا إنما هي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يو ١: ٢ – ٣).

"من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الأبدية ولا يأتي إلى دينونة لكنه انتقل من الموت إلى الحياة "(يو ٥: ٢٤).

المسيح هو النور والحياة

"الحياة هي نور البشر (أو الناس)" (يو ١: ٤ – ٨). لكن من هو النور نفسه؟ هو المسيح (يو ٨: ١٢ ، ١:٧ ، ٣:٣ ، ١٩). ويقول الرسول : إن الله نور (١يو ١: ٥)، والمسيح هو هذا النور (يو ١٢: ٣٥ – ٤٧).

هذه العبارات لم تكتب من قبل وبمثل هذا الوضوح. لقد كان الزخم الآتي أكبر من كل ما يمكن أن يقوله الأنبياء. صحيح أن المزمور يقول عن البشر "أنا (أي الله) قلت أنكم آلهة" (مز ٨٢: ٦)، لكن ما فاق كل ما ورد في كتابات الأنبياء هو هذا التصريح الخطير عن علاقة جديدة تماماً:

"أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله..."، وحتى لا يقع أحد فريسة لكل حيل اللغويين والمفسرين، يقول الرسول: "من أجل هذا لا يعرفنا العالم..."، ثم يعود ويؤكد إن هذه هي حقيقة ماثلة، فيقول: "أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله..."، هذه ليست حقيقة تغيب عن الأذهان، بل هي الآن، "ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكننا نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (1يو ٣: ١ – ٢).

وقد علَّق القديس أوغسطينوس على هذه العبارة في كتاب الثالوث، وأبرز معنى عبارة "سنكون مثله" بأننا أصلاً لسنا مثله، وإننا عندما "سنكون مثله"، فإن هذا لا يعني تحول الإنسان من مخلوق إلى خالق، فهذا مستحيل على الإنسان. والتحول يجب أن يُدرك على أنه نعمة، والنعمة شركة، والشركة لا تصبح شركة إذا تحول أحد الطرفين، الله أو الإنسان وصار مثل الآخر تماماً؛ لأن الشركة لا تقوم إلاّ بالتمايز وبقاء الاختلافات بحفظ المحبة المتبادلة.

وفي الشرق العربي بالذات، وتحت ضغوط سنوات من الثقافة السائدة، تولَّد لدينا هلجس وخوف يجعلنا على حذرٍ شديد من استيعاب حقيقة التجسُّد، وحقيقة التمايز بين أقانيم الثالوث.

ولكن، لأن قاعدة الإيمان الثابت هي بقاء الناسوت مخلوقاً، وغير قادر على أي شيء بقدراته المخلوقة، هو الذي يجعلنا نؤمن بعدم تحول الناسوت رغم كل أمجاد وقوة اللاهوت التي أُعطيت له مثل عدم الموت، وعدم الفساد، لأن هذه هي صفات اللاهوت. وبقاء الناسوت، يعني أن تجسُّد رب المجد جعله يعلن لنا ما سوف يؤول إليه كل إنسان، لأننا سنصير "مثله" أو "سنكون مثله"، أي في ذات المجد والقوة والحياة التي "أشرقت لنا جسدياً" (حسب تعبير التسبحة السنوية)، لأننا سنتحول إلى ما تحول إليه الناسوت في المسيح، وهو تحولٌ يحدث لنا بواسطة النعمة والاتحاد بالمسيح، وشركة الأسرار الكنسية التي يعطيها الروح القدس لنا لأنها حياة الابن[1].

ونحن نخاف من كلمة اختلاف الآب عن الابن، والابن عن الروح القدس؛ لأن وقع كلمة «اختلاف» يجعلنا فريسةً للخوف الذي زرعته فينا الثقافة السائدة، ولذلك كان تبني كلمة «تمايز» هو الأقرب إلى لاهوت الآباء؛ لأننا لم نحاول أن نستوعب أخطار هرطقة سابيليوس، الذي اعتبر أقانيم الثالوث ثلاثة ظهورات متنوعة بلا كينونة. أي أنه في الواقع لا يوجد آب، ولا يوجد ابن، ولا يوجد روح قدس، وإنما هذه ثلاثة إعلانات عن إله واحد.

وفقدان الكينونة دمَّر الخلاص تماماً؛ لأن عطية التبني تصبح استعارةً ولفظاً لا يحتوي على أي إشارة إلى الواقع، ولا يعلن شيئاً عن طبيعة الله الابن، وتصبح عطية التبني مجرد إشارة أو

---

[1] راجع مقالة النعمة في العقيدة وفي الحية النسكية للآب متى المسكين.

علامة بلا مضمون أو كينونة. كذلك تفقد علاقة الابن بالآب كل قوتها؛ لأن الابن والآب هما مجرد إعلان مؤقت وظهور بلا كينونة، ولذلك تصبح أحاديث الابن عن الآب مجرد لهو وتسلية، تخلو من أي حقيقة.

وجاء رد الآباء معلمي الأرثوذكسية بأن الأسماء الآب والابن والروح القدس هي أسماء لثلاثة أقانيم ولكل أقنوم كيانه في الجوهر الإلهي الواحد يميِّزه أو يجعله مختلفاً عن الأقنومين الآخرين. فهو واحد بالجوهر، وفي ذات الجوهر والوجود. وكل الصفات الإلهية متساوية، ولكن يختلف كل أقنوم عن الآخر بالصفة الأقنومية.

ولذلك علينا أن نفهم ونتأكد أن «النعمة» ليست اسماً بلا مضمون، أو هي مجرد استعارة، لكنها علاقة كيانية، علاقة ترفع الإنسان إلى مستوى البنوة.

ففي اللاهوت، الاسم المُعطى من الله يُحسب أنه الذات أو الوجه أو البروسوبون Prosopon، لأنه أينما يعطي الله الاسم، يعطي الطبيعة التي تخصه، والذات التي تتكلم وتتصرف فيه[1]. فالاسم بلا كيان هو خدعة لا تجوز بالمرة، ولا يحاولها الله معنا لأنه «أب الحق». والعلاقة الجديدة مع الآب في ابنه يسوع المسيح بالروح القدس هي التي تسمح لنا، بأن نقترب من اللاهوت بقدر اقتراب الناسوت من اللاهوت في الرب الواحد يسوع المسيح، أي بقدر الاتحاد الذي تم، والذي حفظت فيه كل طبيعة خصائصها، ولذلك، المسيحُ «هو واحد من اثنين»، لاهوت وناسوت.

"مثله"

"أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يو٣: ٢).

على مستوى المحبة البنوية التي منحها الله لنا بدون ندم، ولهذا سنراه كما هو لأننا سنكون مثله. "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو٣: ١٨). فالنظر، أي الرؤية الروحية تعكس صورة المجد... لأنه إن كان قد شابهنا في كل شيء، فالشبه يرى الشبيه، ويُتضمّن فيه، وينتقل إليه، لأنها رؤية روحية صرف. ومع الرؤية المعرفة، ومع المعرفة ينتقل المثيل إلى المثيل. لأن من يعرف الحق يكون قد امتلكه "بنورك يا رب نرى النور" (مز ٣٦: ٩)، لأننا سنكون شركاء مجده[2].

---

[1] راجع الآب متى المسكين، شرح وتفسير الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول ص ١١٠.

[2] المرجع السابق ص ١١٣.

وهكذا يتضح لنا أن هناك مبدأين يشكلان معاً دعامة الحياة الروحية الأرثوذكسية، وكلاهما معاً يمثلان القاعدة الأرثوذكسية الثابتة التي تجعل للشركة في اللاهوت هدفاً واضحاً:

المبدأ الأول:

هو أن عطية الاسم تكشف وتعلن الطبيعة، ولذلك اسم «الأبناء» ليس اسماً فارغاً بلا معنى؛ لأن الاسم خاص بالعطية، ونحن لنا ذات الوجه (البروسوبون / Prosopon)، أي ذات الطبيعة المعلنة أولاً في الابن، وثانياً في النعمة التي تُقدِّم لنا الكيان الذي يتفق مع الاسم.

المبدأ الثاني:

هو الرؤية التي تحول الكيان، حيث الشبيه يرى الشبيه... وينتقل إليه لأنها رؤية روحية... ومع الرؤية المعرفة ومع المعرفة ينتقل المثيل إلى المثيل. وهذه الرؤية ذات أصل رسولي، لأنها تستدعي ما قاله الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس:

"ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة

نتغيّر إلى تلك الصورة عينها،

من مجد إلى مجد،

كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨).

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن «**الوجه المكشوف**»: [يقول الرسول بولس إننا لا نحتاج بالمرة أن نغطي وجوهنا مثل موسى (خر ٣٤: ٣٣) لأننا سنكون قادرين على رؤية المجد الذي سوف يحيط بنا من كل جانب، والذي سيكون أكثر بهاءً من المجد الآخر (الذي عاينه موسى على الجبل)][(١)].

والبرقع الذي غطَّى وجه موسى يمكن أن يغطي كيان أي إنسان؛ لأن «الوجه / البروسوبون» غارق في تجاهل نعمة الله، ولذلك ينصح العلاَّمة أوريجنوس المؤمنين قائلاً: [علينا أن نتوسل للرب نفسه، أي الروح القدس لكي يرفع كل سحابة وكل ظلمة التي تعمي رؤية أو نظر قلوبنا والتي تقسَّت hardened بسبب أوساخ الخطية...][(٢)].

---

(١) عظة على رسالة كورنثوس الثانية. راجع أيضاً الرسالة ٤١ من رسائل القديس كيرلس الكبير ترجمة مركز دراسات الآباء – الترجمة الإنجليزية – آباء الكنيسة مجلد ٧٦ ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٢) العظة الأولى على سفر اللاويين – أباء الكنيسة مجلد ٨٣: ٣٠.

ولعل القارئ الذي حضر الرسامات في الكنيسة، قد سمع العبارة التي تتكرر في كل رسامة «الذي مزّق سحابة خطايانا» لأن الكنيسة تجتمع لكي تطلب الرب الروح القدس، لكي يُعلن ويُعطي مواهب الخدمة الخاصة بالكهنوت، وينقل إلينا الاسم والكيان والرؤية الداخلية "نتغير إلى تلك الصورة".

ويشرح ذهبي الفم هذه الكلمات مؤكداً أبدية النعمة، فيقول: [هذه الكلمات لا تشير إلى الأشياء التي انتهت، بل إلى ما سيبقى، الله روح، ونحن أنفسنا قد نلنا ذات مرتبة الرسل لأننا سوف نراه بوجهٍ مكشوفة. وبمجرد أن نعتمد Baptized سوف تشرق النفس بلمعان أكثر بهاءً من الشمس؛ لأن الروح القدس طهَّر النفس، ونحن لا نرى فقط مجد الله، بل نناله مجداً فائقاً][3].

فالرؤية ليست من الخارج فقط، بل تتناغم تماماً مع الحقيقة الروحية التي وُهِبَت، أي الكيان الجديد، أي نعمة التبني في الرب يسوع المسيح.

وعن «المرآة» يقول مار اسحق السرياني: [إن المرآة تؤكد الحصول على الشبه][1].

وهنا يجب أن نضع أمام القارئ تحذيرين: الأول من عند القديس غريغوريوس النزينزي، والثاني من عند القديس غريغوريوس النيسي.

أولاً: القديس غريغوريوس النزينزي:

[هنا يجب أن نعرف ما حدث لنا. لقد أعلن العهد القديم الآب علانيةً، والابن بصورة غامضة. أمَّا العهد الجديد فقد أعلن الابن، وأظهر لنا إلوهية الروح القدس[2]، أمَّا الآن فإن الروح القدس يسكن فينا، ويعطي لنا براهين أوضح عن أُقنومه. لأنه لم يكن ممكناً بل وغير آمن أن يُعلَن الابن في الزمان الذي لم يكن فيه الإيمان بإلوهية الآب قد استتب، وأيضاً لم يكن الابن قد أُعلن، أن ننتقل إلى أكثر – وأنا هنا أتكلم بجرأة – بمعرفة الروح القدس... لذلك السبب جاء الروح القدس وحل في التلاميذ، وأعطى حلوله على قدر استيعابهم وقدرتهم على قبوله في بداية إعلان (أو بشارة) الإنجيل، وهي القدرة التي زادت بعد آلام الرب وبعد صعوده؛ لأنه أكمل قدرتهم عندما نفخ الرب (يو ٢٠: ٢٢) وعندما ظهر بشكل ألسنة نارية. وحقاً أنه قليلاً قليلاً

---

[3] عظة على كورنثوس الأولى ٧: ٥ – راجع الترجمة الإنجليزية مجلد ١٢ ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

[1] العظات النسكية ٢: ١١ – راجع الترجمة الإنجليزية التي نشرها:

D. Miller: The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, 1984,p11

[2] المقالة اللاهوتية ٥: ٢٦.

يعلنه يسوع المسيح (يعلن الروح القدس) وسوف تدركون هذا عندما تقرأون الأسفار بدقة][3].

ألا نحتاج نحن إلى هذا التدرج؟ ولكن لا يجب أن يصبح هذا التدرج سبباً لإنكار الإيمان أو الهجوم عليه بأن نكتب ما لا نراه أو لا نعرفه؛ لأننا نقرأ في سير القديسين عن البهاء والمجد الذي ظهر وهم لازالوا في الجسد، ابتداءً من أول الشهداء اسطفانوس وقديسي البرية أرسانيوس – مكسيموس ودوماديوس... الذين أشرقت فيهم بشكل منظور الألسنة النارية ونار اللاهوت.... وهو البهاء الذي أشار إليه ذهبي الفم (راجع ص٨).

ثانياً: القديس غريغوريوس النيسي:

[أعتقد أنه لا يخيف أن نتحدث عن تحول طبيعتنا؛ لأنه الكلمة يؤكد لنا أنه لا يوجد مبرر يجعلنا لا نتحول إلى ما هو أعظم، كما لو كنا سوف نعطي جناحين[1] لكي نرتفع إلى ما هو أعظم، لذلك لا يجب أن يحزن أحد إذا أحس في كيانه ميلاً إلى التغيير؛ لأن التغير إلى ما هو أفضل هو حقاً عظيم، ومن يريد التغيير عليه أن يتغير من مجد إلى مجد (٢كو ٣: ١٨) وأن يزداد هذا كل يوم حتى يصل إلى كمال التغيير؛ لأن الكمال هو أن لا نتوقف عن النمو نحو ما هو أفضل وأن لا نضع حدوداً للكمال][2].

ألا تعكس هذه الكلمات نفس معنى كلمات الإنجيلي يوحنا: "نحن الآن أولاد الله... ماذا سنكون... سنكون مثله".

---

[3] راجع الجناحين في رؤيا الأنبا أنطونيوس الكبير، وهما معونة الروح القدس للنفس بعد خروجها من الجسد.

[1] راجع الجناحين في رؤيا الأنبا أنطونيوس الكبير، وهما معونة الروح القدس للنفس بعد خروجها من الجسد.

[2] مقالة عن الكمال – آباء الكنيسة مجلد ٨٥ ص ١٢٢.

الفصل الأول

الشركة في الطبيعة الإلهية
أم
الشركة مع الطبيعة الإلهية

الشركة «في» و «مع» وأيهما ورد في الكتاب المقدس

حسب نص رسالة بطرس الثانية "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وَهَبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بطرس ١: ٤).

و «شركاء»حسب الترجمة العربية والأصل اليوناني، لا تحتاج إلى حرف الجر "في" واليوناني هنا مثل العربية، لكن الفعل اليوناني «يشترك» يمكن أن يأخذ حرف الجر «في» أو «مع» مثل العربية تماماً.

لكن لم يستخدم الكتاب المقدس فعل «يشترك» «مع» بالمرة بل حسب نص العهد الجديد نفسه بل يشترك «في».

«نشترك في الخبز الواحد»	١كور ١٠: ١٧
«لا تشترك في خطايا »	١تي ٥: ٢٢
«يشترك هو أولاً في الإثمار»	٢تي٢: ٦
«لكي نشترك في قداسته»	عب ١٢: ١٠
«يشترك في أعماله الشريرة»	٢يو: ١١

(راجع رؤ ١٨: ٤).

وحسب وصية الرسول

"اشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح" (٢تي ١: ٨، ٢تي ٢: ٣).

وفي صيغة الماضي «شارك»، وعلى لسان الرب يسوع وهو يعيد كلام اليهود "وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء" (مت ٢٣: ٣٠).

وفي صيغة الجمع "الأمم قد إشتركوا في روحياتهم.." (رو ١٥: ٢٧).

شركاء

والشركاء عادة «في» "فأشاروا إلى شركائهم في السفينة" (لو ٥: ٧) لأن «في» عادة تحدد المكان، حسب قول الرسول "ولد يسوع في بيت لحم" (مت٢: ١) وأيضاً "جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية" (مت ٣: ١).

«في» تحدد الوسيلة ولذلك قيل عن يوحنا المعمدان "الذي رفشه في يده" (مت ٣: ١٢).

«في» تحدد الحالة "كان يسوع... يشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب" (مت ٤: ١٣).

وعندما يقول الرسول: "إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم أفلسنا نحن بالأولى" (١كو ٩: ١٢). وهنا «في» تحدد نوعاً من الوحدة ونوع الشركة، وهي الشركة في السلطان الرسولي وهو ما يؤكده الرسول بعد ذلك أي الوحدة ونوع الشركة، عندما يتحدث عن نوع الشركة في عبارته الخاصة بالمقارنة بين ذبيحة سر الشكر وذبائح الأمم: "أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح" (١كو ١٠: ١٨) ولعل القارئ لاحظ أن حرف الجر «في» قد غاب من النص الأصلي اليوناني والعربي، ونفس الصياغة وردت في (١كو ١٠: ٢٠).

لكن الوحدة نفسها ليست قاصرة على ذبيحة سر الشكر وهي الذبيحة الواحدة بل نحن جميعاً شركاء في الميراث السماوي الواحد. شركة واحدة ولذلك يقول الرسول أنه بسبب مجئ ابن الله صار "الأمم شركاء في الميراث" (اف ٣: ٦) والشركة «في» تؤكد التوزيع وتؤكد المساواة أيضاً وهو ما يدعمه الرسول نفسه "أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة" (في ١: ٧) وهو نفسه تعبير الرسول "شركاء الدعوة السماوية" (عب ٣: ١).

الشركة

«يشترك»، «شركاء»، و«الشركة» قد يجوز فيها استخدام حرف الجر «في» وقد يجوز حذف حرف الجر في، لأن المعنى واحد ولأن صيغة المضاف والمضاف إليه تقوم بنفس دور حرف الجر،

مثل "شركة دم المسيح" (١كو ١٠: ١٦) أو "شركة الخدمة التي للقديسين" (٢كو ٨: ٤) والعقل يؤكد الحصول على نصيب في الذي نشترك فيه، "شركة آلامه متشبها بموته" (في ٣: ١٠).

الشريك

كانت كلمة هامة ولازالت حتى الآن في خدمة الافخارستيا «الكاهن الشريك» الذي يخدم مع غيره، ولذلك كان تيطس حسب كلمات بولس "شريك لي وعامل معي" (٢كو ٨: ٣) – راجع أيضاً فيلبي ٤: ٣ – فليمون: ١٧).

وعندما يقول الرسول بطرس "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم، والشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد الآتي (العتيد) الذي سيعلن (أن يعلن) (١بط ٥: ١). وشركة بطرس في آلام المسيح والمجد، تجعل بطرس شريكاً للمسيح في مجده، وهي شركة المجد التي تكلم بها الرب يسوع نفسه:

"هنذا واقف على الباب وأقرع..

من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي.

كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رو ٣: ٢٠ – ٢١).

هذه هي شركة المجد أن نجلس مع المسيح في ذات العرش الإلهي.

"فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً،

ورثة الله، ووارثون مع المسيح،

إن كنا نتألم معه، لكي نتمجد أيضاً معه" (رو ٨: ١٧).

طبعاً سيجد البعض أن هذا الكلام صعب، ولكن إن كانت كلمات الرب يسوع لا تجد قبولاً وكلمات الرسول بولس ومن قبله الرسول بطرس مرفوضة... فما هو الحل؟ وما هو علاج رفض نعمة الله.

هل سوف نجلس على عرش الله الآب كما يجلس الآن الابن الوحيد؟

أليست هذه هي شركة الطبيعة الإلهية أن ننال ذات مجد الابن؟.

ألم يظهر موسى وإيليا مع الرب في سحابة المجد على جبل طابور؟ (لو ٩: ٣١).

هذه هي شهادة الرسول بولس "ونحن ناظرين جميعاً (ليس الرسل وحدهم حسب إدعاء البعض) مجد الرب بوجه مكشوف (ليس مثل وجه موسى الذي وضع البرقع على وجهه)، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة (صورة المسيح) عينها، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨).

نحن شركاء أتعاب وصليب المسيح "خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (٢كو ٤: ١٧).

وعندما يجلس يسوع، الرب، ابن الإنسان، "على كرسي مجده" (مت ١٩: ٢٨)، هذا المجد لا نقدر نحن أن نأخذه بوسائلنا، بل يعطى من الله الآب في ابنه يسوع المسيح، حسب عبارات الرب نفسه "أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يو ١٧: ٢٢)، ويؤكد الرسول ذلك، أنه عند استعلان أو ظهور المسيح فإننا جميعاً سوف نُظهر ولاحظ أين وضعت الضمة "تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو ٣: ٤)، لأنه سوف يأت بنا نحن الأبناء – ولاحظ قوة التعبير "آت بأبناء كثيرين إلى المجد" (عب ٢: ١٠).

نحن لا نقدر أن نسرق هذا المجد مثل الشيطان أو مثل هيرودوس الملك، بل ننال هذا المجد حسب دعوة الله الآب لنا في ابنه يسوع المسيح (٢بط ١: ٣)، لأن هذه هي "حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ٢١) هذا هو "مجد نعمته" التي لا تؤخذ عنوة، بل يصلي الرسول بولس نفسه "كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد (مصدر أو ينبوع المجد) روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، **لتعلموا ما هو رجاء دعوته**، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف ١: ١٨). وحقاً يقول الرسول، كل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يبس وزهره سقط" (١بط ١: ٢٤).

ما هو هذا المجد الذي نشترك فيه نحن بالمسيح ؟

أنه **أولاً** مجد التبني، الذي يُحارب الآن بدعوة عقلانية، تجذب النفوس الخائرة للبقاء في هوان الخطية وعار رفض مجد إنجيل يسوع المسيح. هذا التبني له علامة أكيدة لا يمكن الجدال فيها وهي سكنى الروح القدس، ولاحظ قوة التسليم الرسولي.

أ – جاء الابن وتجسد لكي ننال به روح التبني بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا abba الآب. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً

وإن كنت ابناً فوارث[1] لله بالمسيح an heir.

بروح الابن، وبنفس الروح، ننال حسب الدعوة الرسولية "الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس. الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أف ١: ١٣، ١٤).

---

[1] الكلمة وارث في اليونانية κληρονομος ومنها جاءت كلمة اكليروس أي الورثة وهي عامة للشعب كله لأننا جميعاً "ورثة" وخاصة للذين نالوا وراثة الخدمة الرسولية من الخدام.

عربون الميراث للبنين، لمدح مجد الثالوث، هو الروح القدس نفسه، الذي يصفه الرسول بطرس أننا نناله عندما نواجه الشدائد والتعيير "بل كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عيرتم باسم المسيح، فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١بط ٤: ١٣ ، ١٤).

ومع التبني يأت إكليل المجد، الذي سوف يُعطى لنا "ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى" (١بط ٥: ٤) هذا المجد، لا يخطف بالمرة، بل هو حسب دعوة الله لنا، وبكلمات قاطعة يقول الرسول "الذين سبق فعينهم، هؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو ٨: ٣٠).

وهذا ليس مثل سقوط الشيطان، أو سقوط آدم، لأسباب واضحة سبق وذكرناها ولكن يجب حصرها من أجل منفعة القارئ.

لم يذكر الآباء أن سقوط آدم كان شهوة الألوهة، وكلمات سفر التكوين تؤكد ثلاثة حقائق واضحة. **الأولى** حسب كلمات الوحي نفسه، أن الألوهة التي طلبها آدم كانت عن طريق المعرفة، هي ألوهة زائفة وليست بالبقاء في صورة الله، العطية الثانية، التي أعطيت للإنسان مع عطية الخلق، حسب كلمات أبينا القديس أثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة فصل ١.

والثانية إنها ليست ألوهة بالمعرفة فقط، بل معرفة الخير والشر، وهي المعرفة الثنائية التي تحمل معها بذرة الموت، حسب قول الله نفسه "أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢: ١٧).

والثالثة الألوهة، بدون الله، هي بذرة الخطية. أما أن يبقى الإنسان صورة خالقه أو صورة الله، فهي دعوة الله للإنسانية لكي تشترك في ألوهيته، ولكي تبقى في صورة الله.

ولعل خدعة وحسد الشيطان، هو تأكيد أن معرفة الخير والشر تجعل الإنسان مثل الله، وأن ينسب هذا الكذب إلى الله نفسه، "الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٥). الخدعة ليست في أن يكون الإنسان مثل الله، بل أن يظن أن معرفة الخير والشر معاً هي الطريق إلى أن يكون مثل الله.

ثانياً: إن دعوة الله لنا في يسوع المسيح هي دعوة لجائزة عليا "أسعى وراء الغرض (أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع) لأجل جعالة ، جائزة، مكافأة الله العليا في المسيح يسوع" (في ٣: ١٣) ولذلك وُصِفت بأنها دعوة سماوية يقول عنها الرسول لنا جميعاً "شركاء الدعوة السماوية" (عب ٣: ١). وهي دعوة حسب كلمات الرسول: "أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا" (١كو ١: ٩) هذه الشركة ليست في الناسوت وحده،

أو اللاهوت وحده، أو الناسوت بدون اللاهوت، أو اللاهوت بدون الناسوت، حسب التعليم السائد الآن في أوساط معينة، تريد أن تحلل وتحذف لكي يتساوى التعليم المسيحي مع غيره من أفكار ومعتقدات زائفة تدمر نعمة الله. وشركة ابنه يسوع المسيح ربنا، هي أن الذين قيل عنهم لستم شعبي "هناك يدعون أبناء الله الحي" (رو ٩: ٢٦)، هؤلاء هم "مدعوو يسوع" (رو ١: ٦) هؤلاء هم أيضاً "مدعون حسب قصده"، ولم يكتف الرسول بذلك، بل حسب قصد الله، هذه الدعوة لنكون مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٨، ٢٩) وهي دعوة أبدية يحث الرسول بها تلميذه "جاهد الجهاد الحسن وإمسك بالحياة الأبدية التي دُعيت أيضاً إليها.." (١تي ٦: ١٢).

لقد دُعينا إلى جسد واحد (كو ٣: ١٥) وصرنا جميعاً جسداً واحداً في المسيح (١كو١٢: ١٢، ١٣). هذا الجسد ليس الناسوت الطبيعي البيولوجي، بل الجسد الذي إتحد به الله الكلمة، والذي أخذه وسكن فيه (يو ١: ١٤) وجعل كل مؤمن به عضو في هذا الجسد – أي الكنيسة – ملء الذي يملأ الكل (أف١: ٢٣)، ولذلك يقول الرسول "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (١كو ١٢: ٢٧). لقد "ظهر الله في الجسد" (١تي ٣: ١٦) لا لكي يبقى الجسد كما هو طبيعياً بيولوجياً قابلاً للفساد والموت، بل إذ أخذ ابن الله الجسد الفاسد جدده وأحياه وقدسه فصار حسب تعبير الرسول "جسد مجده" (في ٣: ٢١)، وشركة الجسد في مجد ابن الله، بسبب الاتحاد الاقنومي، جعل جسد الرب في القبر عديم الفساد (أع ٢: ٢٦ – ٣١). وصار عدم الفساد هو الحقيقة التي تجعل الرب يقول "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٢) ولم يكن ليتكلم عن جسده حسب الطبيعة أي الجسد البيولوجي، بل عن تجسده لأن الجسد البيولوجي الطبيعي حسب قول الرب لا يفيد شيئاً (يو٦: ٣٦)، ولذلك لم يبذل الرب جسده البيولوجي عن حياة العالم (يو ٦: ١٥)، بل بذل جسده المتحد بلاهوته، الجسد الحي والمحيى الذي لمسته نازفة الدم فنالت الشفاء، هو الجسد الذي يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً (كو ٢: ٩)، والجسد البيولوجي لا يقدر أن يكون رأساً للكنيسة (كو ١: ١٨)، بل جسد ابن الله، الذي يحدد الرسول بولس أن النداء بالتواضع الكاذب هو خسارة للجعالة "لا يخسركم أحد الجعالة راغباً في التواضع... غير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله (كو٢: ١٩)، فكيف ينمو الجسد الطبيعي الذي له القوانين الطبيعية الخاصة به، نمواً من الله، لأنه ينمو حسب النمو الجسداني ولكن لأنه جسد ابن الله الذي يحمل هبات الحياة، عدم الفساد، القيامة من الأموات، المجد الإلهي الذي سطع منه على جبل طابور بنور أقوى من نور الشمس معلناً لنا أن جسده هو جسد مجده حتى قبل القيامة. ولهذا السبب نفسه ذكر معلمنا أثناسيوس أن جسد الرب يسوع «تأله».

وهذه هي الفقرات التي يذكر فيها القديس أثناسيوس أن جسد الرب تأله أي صار عديم الفساد ، قاهراً للموت ، عديم الألم مُحي ، ويعطي حياة أبدية لكل من يتناول منه. فكيف يعطي الجسد الطبيعي الذي لا شركة له في حياة وقوة ومجد ابن الله الحياة الأبدية ، حسب كلمات الرب يسوع المسيح نفسه ، وحسب شهادة كل القداسات الأرثوذكسية.

لقد جاءت العبارات الآتية من فراغ، ومن محاولة للابتعاد عن الشركة في حياة ابن الله إذ يقول قائل:

«الله روح (يو ٤: ٢٤)، ومن غير المعقول أن نقول: نأكل الروح أو نشرب الروح!! والسيدالمسيح قال، من يأكل جسدي ويشرب دمي (يو٦: ٤٥)، ولم يقل من يأكل لاهوتي ويشرب لاهوتي»

وهكذا يُفصل اللاهوت عن الناسوت. وأصبح التناول، هو تناول الناسوت الجسد والدم، هل هذا يتناغم ويتصالح مع كلمات الرب نفسه وهو يقول عن الروح القدس وبكلمات قاطعة "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو ٤: ١٤)، ثم أكد الإنجيل أن الماء هو الروح القدس، حسب تعليم الرب يسوع نفسه "وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه.." (يو ٧: ٣٧ ، ٣٨). والاختلاف حول تفسير كلمة أو نص من نصوص الكتاب جائز إذا كانت الكلمات غير واضحة، ولكن حيث أن التعليم ورد مرتين، وفي المرتين الإشارة واضحة إلى مياه الروح القدس التي تُشرب والتي وعد الرب نفسه أن يعطيها للسامرية ثم في العيد العظيم (يو ٧: ٣٧) فكيف يجوز، بل ويتجاسر أحد من الناس أن يعلِق على تعليم الرب بعبارة يجب أن نتوقف أمامها، لأنها تلخص روح جيل كامل:

«مع» ليست ضد «في» بل هي تأكيد على الشركة «في»

ينصح الرسول المؤمنين ويقول لهم "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين" (٢كو ٦: ١٤)، و النير يوضع على عنق بقرتين معاً للحرث ويؤكد الرسول ما يقصده بكلمة «نير مع» بعبارته التالية: "لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة"، ويعطي التعليم الرسولي "أي اتفاق للمسيح مع بليعال" (٢كو٦: ١٥) وهنا ،الشركة مع، تبدو للقارئ أنها شركة خارجية ولكن آخر ما يمكن أن يقال عن «دين المسيح» أنه «دين علاقات خارجية». وكأن الرسول بولس رأى بقوة الروح القدس اللعب بمفردات اللغة في أيامنا هذه، وفي مجلاتنا ثم بعد ذلك في مقالات «اللاهوت»، أقول رأى الرسول ثم كَتَبَ العبارات التالية لنا :

"أنتم هيكل الله الحي"... هذه ليست علاقة خارجية مثل سكنى الله في هيكل أورشليم القديم، ولكن النبوة تمت في يوم الخمسين "كما قال الله أني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (٢كو ٦: ١٦). وعندما يقول الله سوف أسكن فيهم، فهو لا يقصد مجرد السكنى كما كان يسكن في هيكل سليمان، بل حسب وعد المسيح يسوع رب المجد، سكنى فينا نحن، لأن الوعد تم "أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث **معكم** إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله... أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث **معكم** ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٦، ١٧).

هل «مع» تقلل من قوة «في» ؟، أليس حَمل نير الشيطان أو نير غير المؤمنين هي «شركة مع»؟ أليست هي، شركة في، أيضاً وصفها الرسول نفسه بأنها «خلطة»، «امتزاج». أما هنا فلا إمتزاج بالمرة بل سكنى، في، وحياة مع، الله...، أم أننا سنكون مع الله في فردوس الفواكه والأعناب واللحوم والخمر.. الخ.؟.

شركة آلام الرب: يقول الرسول "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه" (في٣: ١٠)، فهل قوة القيامة هي قوة «مع» وهل الشركة هي، مع فقط، أم أنها، شركة في، آلام المسيح؟ يجيب الرسول نفسه صارخاً في آذان هذا الجيل:

من أجله خسرت كل الأشياء..،
وأنا أحسبها نفاية (زبالة)،
لكي أربح المسيح،
وأوجد فيه...
لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه،
لكي أبلغ قيامة الأموات (في ٣: ٧ - ١١).

ولكن ما هي قيامة الأموات؟ إنها ليست القيامة التي صارت موضوعاً عاماً يقال بشكل عام في أعياد القيامة.. بل قيامة المسيح.. لأن الرسول كان ينظر إلى قيامة الجسد، وكأنه يعيش معنا الآن، وهي آخر ما سوف نصل إليه! ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد[1] مجده، بحسب استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ" (في ٣: ٢١).

ومرة أخرى يقول الرسول بولس لجيل يجحد مجد الصليب

---

[1] ولعل الاعتراض على تأله ناسوت الرب يسوع يجيب عليه الرسول بولس لأن عبارة "جسد مجده" ليست خاصة بالمرة بالجسد الذي يمكن صلبه وطعنه بالرمح بل بالجسد الذي اشترك في مجد اللاهوت فصار "جسد مجده" بسبب الاتحاد الاقنومي وأيضاً بغلبة الموت.

"مع المسيح صلبت،

فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غل ٢: ٢٠)

وفي أطول نص قاطبة في كل التعليم الرسولي يضع الرسول بولس التعليم عن المعمودية:

"صرنا متحدين **معه** بشبه موته..

إنساننا العتيق قد صلب **معه**

فإن كنا قد متنا **مع المسيح** نؤمن أننا سنحيا **معه**" (رو ٦: ٥ – ٨).

وقوة «مع» لا تقف عند باب شركة خارجية صارت هي محور إيمان وتعليم غريب، لأننا سنحيا معه حقاً، ولكن الرسول يحذر الذين يطلبون الشركة «مع» ويقول:

"أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله **بالمسيح يسوع ربنا**"، وحسب الأصل اليوناني **"في المسيح"** εν χριστω أي فيه. والرسول قال في موضع آخر عن الشركة في القلب في الداخل، أو حسب تعبير الرسول "في الإنسان الباطن" (أف ٣: ١٦)، وبعد ذلك يقول "ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة... تعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (التي لا يمكن شرحها بأي شكل عقلاني) لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف ٣: ١٧ – ١٩).

شركاء الروح القدس (عب ٦: ٤)

وحسب الأصل اليوناني لا يوجد في عبارة (عب ٦: ٤) أي حرف جر لا «في»، ولا «مع»، بل «شركاء الروح القدس».

ولكن التعليم الرسولي لا يعرف المماطلة والأكاذيب اللغوية التي تخدع السذج، ولذلك ينصح الرسول الذين يقعون تحت التأديب بالاحتمال، لأننا، حسب عبارة الرسول، نؤدب بواسطة الرب "لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠).

قداسة الله، ونحن هنا لا يمكن أن نشترك مع الروح القدس، أو نكون شركاء الروح القدس، بدون شركة في قداسته!، وليس لله قداسة من نوعين، بل قداسة واحدة. وهنا بالذات لا يمكن بالمرة أن نقول أن للرب يسوع قداسة إلهية وأخرى ناسوتية، لأن الرسول يقول "ومنه أنتم في المسيح (أو بالمسيح)الذي صار لنا حكمة من الله، وبراً، وقداسة، وفداء" (١كو ١: ٢٠)، لأن الرب يسوع هو "قدوس" (اع ٤: ٢٧) وأيضاً "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (١بط ١: ١٥، ١٦). وهنا لا يجوز اللعب بالمفردات «قدوس – قديس» لأن الرب

يسوع يطلب من الآب أن يقدس المؤمنين "قدسهم في حقك" (يو ١٧: ١٧) ويكمل الرب يسوع عبارته الإلهية "لأجلهم أقدس أنا ذاتي، ليكونوا هم مقدسين، في الحق" (يو ١٧: ١٩).

وهنا ، أي في العبارة التالية ، يصمت كل إنسان لأن الرسول بعد أن شرح تواضع الرب وموته المحيي يقول: "لأنه يليق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يُكمل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يخجل (لا يستحي) أن يدعوهم إخوة.." (عب ٢: ١٠ ، ١١).

وخلف كلمة «واحد»، نجد التعليم الرسولي الواضح لأن كلمة «واحد» دليل يقدم لنا حقيقة وأبعاد «التدبير».

أولاً: اجتماع الكل في جسد واحد حسب كلمات الرسول "ليملك سلام الله في قلوبكم الذي إليه دُعيتم في جسد واحد" (كو ٣: ١٥). هذه الدعوة الجديدة غريبة على العقل البشري، الذي لا يرى سوى الحياة البيولوجية فقط ولا يرى فيها غير ذلك، لكن التدبير الجديد وهو غير «تدبير موسى» لا يقدم أولاداً لله من نسل إبراهيم حسب الجسد، بل من يسوع حسب الروح، ولذلك يؤكد الرسول أن يُحفظ وحدانية الروح بربط السلام (اف ٤: ٣). لأن هذا نابع من حقيقة الشركة في "**جسد** واحد **روح** واحد. كما **دُعيتم** أيضاً في رجاء دعوتكم **الواحد**، رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة.." (افسس ٤: ٤).

ثانياً: الكل يولد أو ينحدر من «الرأس الواحد»، هذا الرأس الواحد هو يسوع المسيح نفسه. والتعليم الرسولي واضح ويكرره الرسول بنفس المفردات. ولاحظ أنه في (اف ٤: ١٥ ، ١٦) يطلب الصدق في المحبة لكي "ننمو في كل شئ إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي منه كل الجسد مركب معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، حسب عمل (كل عضو وحسب قدر كل عضو) على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" وهنا كما في (كو ٢: ١٦ - ١٩).

هنا المطلوب هو النمو الذي لا يُفرض بقوة الله على المؤمنين، بل نمو حسب المحبة، ولذلك تحوُّل أي إنسان لا يتم بمرور تيار كهربائي، بل حسب "قياس كل جزء"، وهو ما يؤكده الرسول نفسه في شرح الإيمان ضد حركة التهوُّد، التي لا تزال تسود كنائس واجتماعات كثيرة، وهي العودة إلى الطقوس القديمة التي تأخذ مكان الوسيط يسوع المسيح، "فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت (الممارسات اليهودية بما فيها حفظ السبت)، ثم يؤكد بعد ذلك أن حلول هذه الممارسات كوسائط هي الانتفاخ الباطل، حسب الإدراك الجسداني البيولوجي، الذي يجد العظمة في الممارسات التي ترضي الذات. مثل هذا يقول الرسول عنه "غير متمسك بالرأس الذي

منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمو من الله" (كو ٢: ١٩). فالرأس هو رأس الوسيط، الابن الوحيد، الإله المتجسد ولذلك:

المقدس (أي المسيح)

والمقدسين (أي المؤمنين)

جميعهم من واحد (عب ٢: ١٠، ١١).

الاعتداء الفكري على الرأس

هذا الاعتداء لا يصل إلى شخص الرب يسوع، بل يصل إلى الصغار والسذج الذين لم ينمو في الإيمان، «صغرى القلوب» حسب كلمات الأوشية، وهؤلاء يدفعهم التعليم المضاد للمسيح إلى الانفصال عن الرأس وقطع كل رباطات الشركة، أولاً: بفصل الرأس عن الأعضاء وثانياً: بإنكار الشركة التي لنا، والتي تنسكب بقوة عمل الرأس وحسب وظيفته وكرامته الكهنوتية والإلهية. وعندما يصل الأمر إلى تصور أنه توجد قداسة إلهية وأخرى إنسانية في المسيح يسوع، وإننا نشترك في قداسته الإنسانية فقط، فإن تمزيق المسيح على هذا النحو يهدم المسيحية الأرثوذكسية كلها، ولأننا لم ندرس البدعة النسطورية ولم ندرس كتابات الآباء، وتحول الرأي الشخصي إلى عقائد تُفرض، فإننا أمام إنهيار كامل لتدبير الخلاص نضعه أمام القارئ، **أولاً**: من الكتاب المقدس، **وثانياً**: من الآباء، ولكن قبل ذلك علينا أن نرى ما هو خطورة فصل اللاهوت عن الناسوت في شخص الرب الواحد يسوع المسيح مخلصنا.

١ـ إذا تصور إنسان أن المسيح يسوع قام بأعمال إلهية وأخرى إنسانية، وأنه لا توجد صلة بين ما هو إلهي وما هو إنساني، فإنه يهدم كل ما فعله المسيح ابتداء من التجسد الذي وحد فيه الرب لاهوته مع الناسوت (بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير)، مروراً بالمعمودية والصلب والقيامة،... هذه أعمال الرب الواحد الذي كان في كل عمل يُجدد ويضع أساساً للحياة الجديدة التي لأجلها وُلِد، واعتمد، وصُلب، وقام.

٢ـ لقد جاءت هذه العبارات بمثابة صدمة لأنها لا يمكن أن تصدر عن إيمان صحيح بالمسيح، فقد استخدمت العبارات اللاهوتية«بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير» لكي تهدم «سر التجسد» كأن الناسوت ظل كما هو قابلاً للموت بعد القيامة، أو معرضاً للفساد والشيخوخة والانحلال، كأنه لم يحدث أي تغيير في ناسوت الرب يسوع نفسه بل ظل كما هو وكما كان قبل القيامة، لم يشترك لا في حياة أقنوم الابن، ولا في مجده، ولا في قوته... وعبارات الآباء «بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير» تنفي تحول الناسوت إلى لاهوت، ولكنها لا تنكر تأله الناسوت، بل أن عبارة «تأله الناسوت» حسب اللفظ نفسه

تؤكد بقاء الناسوت ولكن في حالة المجد والقوة. وكم كانت الصدمة قوية ومؤلمة لأنها وصلت إلى سر الافخارستيا، الممارسة الأسبوعية الدائمة التي هي معنا منذ يوم العنصرة وستبقى معنا حتى يجئ الرب يسوع في مجده، لكي «يدين الأحياء والأموت». وهكذا، فكأن حقبة ١٩٠٠ سنة وأكثر لا تكفي لأن تؤكد لنا أننا لا يمكن أن نأكل الجسد بدون اللاهوت، ليس لأن هذا - كما قال القديس كيرلس الكبير - هو نوع من أكل لحوم البشر[1]، بل أيضاً لأننا أمام مسرحية هزلية ساخرة نستعد لها بالصوم والصلوات التي تبدأ في عشية يوم الرب ونصف الليل وباكر ثم القداس...، مسرحية هزلية ساخرة، نسخر فيها من الرب يسوع نفسه ونقول له: لا شأن لنا بلاهوتك لأنك لم تَقُل - خذوا كلوا هذا لاهوتي - بل قلت خذوا كلوا هذا جسدي، ولأن اللاهوت لا يؤكل لأنه روح...، ولذلك نحن يا يسوع لا نعرفك إلا إنسان فقط، نُقَطِع جسدك ونوزعه. والعجيب هنا أن الذي أمامنا هو خبز فقط، لأن تحول الخبز إلى جسد لا يمكن أن يتم إلا على مستوى اللاهوت واستعلانه.

وأيضاً عمل روح الله القدوس، الذي يطلب بكل تواضع القلب وحسب «مسرة الله»،هل نسجد ونطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر لكي نقول بعد ذلك أنه جسد فقط، وأننا لا نشترك في لاهوت الرب؟.هل كل هذا الاستعداد والصوم من أجل ماذا، من أجل قطعة لحم أو جسد؟، أم أن الصلاة والتقوى تقول لنا «أن حلول الروح القدس سوف يعلن لنا»: «قدساً لقديسيك».

وعندما نقول للرب «جسدك فقط» وليس «لاهوتك» فإننا نقول ضمنياً دون أن ندري... لا نريد القيامة، ولا نريد مجد السماء، ولا نريد حياة الدهر الآتي، ولا نريد حتى سكنى الروح القدس فينا، لأن ما نريده هو جسدك فقط، أما ينبوع الحياة غير المائتة، وهو اللاهوت الذي تجلى في الجسد وظهر مجده على جبل طابور، وصارت ثيابه تلمع بنور أكثر بهاءً من نور الشمس فلا نريده.

شرح القديس كيرلس الاسكندري لكلمات الرسول في (عب ٢: ١٠ ، ١١):

اعتراض نسطور على كلمات الرسول

سجل القديس كيرلس الاسكندري اعتراض نسطور وشرحه الملتوي، في المقالة الثالثة ضد نسطور الفقرة الثانية. ونقل القديس كيرلس عبارات نسطور كاملة من سلسلة العظات التي قدمها Mercator، وقرأت في مجمع أفسس المسكوني ٤٣١

[1] راجع الاتهام الموجه إلى النسطورية في مقالات القديس كيرلس عمود الدين وفي الفصول الإثنى عشرالمعروفة باسم الحروم الاثنى عشر في الغرب والتي تُرجمت إلى العربية ونشرها مركز الآباء – القاهرة.

"لأنه لم يمسك (يأخذ) ما يخص الملائكة بل أخذ نسل إبراهيم" (عب ٢: ١٦). *فهل اللاهوت هو نسل إبراهيم؟*

وها هي الكلمات نفسها تقول "ومن ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته" (عب ٢: ١٧)، *فهل كان لله الكلمة إخوة له حسب اللاهوت؟ ولاحظوا أنه بعد ذلك يقدم الرسول هذه الكلمات* "لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب ٢: ١٧ – ١٨). *لذلك إن الذي تألم هو رئيس الكهنة الرحيم الذي تألم في هيكل جسده، ولم يتألم في لاهوته المعطي الحياة و "نسل إبراهيم" الذي قال عنه الرسول بولس* "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨) *وليس ذاك الذي قال هو عنه* "قبل إبراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٨)، *فهو مثل إخوته في كل شيء فهي إخوة brother-hood حسب النفس الإنسانية والجسد وليس حسب الذي قال هو عنه* "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٤: ٩).

هذا نص نسطور نفسه.. هل يختلف هذا روحاً ولفظاً عن ما نحن بصدده.،، ألسنا أمام ذات الأسئلة وأمام ذات الروح التي تمزق المسيح.

رد القديس كيرلس الاسكندري الكبير

أخذ الكلمة الذي هو الله نسل إبراهيم، حسبما اعترف نسطور نفسه الآن، فكيف الذي ولد من نسل إبراهيم بلا لاهوت، أليس لأنه عندما أخذ الذي من نسل إبراهيم أعلن أنه الإله؟ بذلك يظهر لنا أن نسل إبراهيم ليس هو اللاهوت بل جسد الله الكلمة ، الذي حسب الأسفار ، صار جسده الخاص، لأنه حسب طبيعته الإلهية لا يُحسب من ضمن خليقة الله، ولكن عندما تجسد صار كإنسان من ضمن خليقة الله، وعند ذلك فقط ولنفس السبب (أي تجسده) دعانا إخوته قائلاً "بإسمك إخبر إخوتي" (مزمور ٢٢: ٢٢) لأنه عندما "أخلى ذاته" وبسبب الاخلاء تنازل الكلمة الذي من الله الآب حسب "الاخلاء" ودعي الذين على الأرض إخوته، ويعلن ذلك بولس الحكيم جداً عندما يكتب عنه وعنا نحن "لأن المقدس والمقدسين الكل معاً من واحد ولذلك لا يستحي أن يدعوهم إخوته" (عب ٢: ١١ – ١٢). قبل التجسد ، وبسبب الرحمة الفائقة للكلمة الذي من الله الآب، كان إسم «الإخوة» brother hood يخصنا نحن كبشر، ولكن بعد أن أخلى ذاته بإختياره وتطوعه وبسبب رحمته الفائقة، أخذ دم وجسد فصار بذلك «الأخ». وتقدس عندما تأنس رغم أنه الله بالطبيعة الواهب الروح القدس، فإذا دُعيَ

«الأخ» أيضاً أليس هنا هو ترتيب (طقس) التدبير؟ أليس لهذا السبب جاء إلينا وصار مثلنا نحن لكي يجددنا ويجعلنا «إخوته» ويحررنا، لأنه مكتوب "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين بإسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا بإرادة جسد ولا بإرادة إنسان بل من الله" (يوحنا ١: ١٢، ١٣)، لأن الكلمة من الله الآب صار بيننا نحن، وولد حسب الجسد لكي نولد نحن وننال غنى الولادة من الله بالروح القدس، ولكي لا نصبح بعد أبناء الجسد بل نتبدل ونتحول إلى ما هو فوق الطبيعة[1]، وندعى أولاد الله بالنعمة، لأنه صار كواحد منا الذي هو بالطبيعة الابن الوحيد الحقيقي.

أدرك القديس كيرلس الكبير خطر النسطورية وهجوم نسطور على تجسد ابن الله ولذلك يستطرد:

أن كلمة الله الموحى بها لا تخطأ، بل يقدم لنا بولس بالروح القدس البرهان على ما قلناه الآن "لأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب" (غلا ٤: ٦) فلماذا ، يا نسطور ، تهاجم حكمة التدبير، لكي تبدو كما لو كانت بلا ترتيب، لأنك عندما تسأل «هل اللاهوت هو نسل إبراهيم؟ »هل له إخوة حسب اللاهوت؟ أليس هذا جنون مطبق، لأن هذه الأسئلة الغبية والسخيفة تقودك إلى التجديف على التعليم الصحيح والنقي، الخاص بتدبير المسيح (المرجع السابق فقرة ٢: عامود ١٠٩٣).

ألسنا أمام ذات العقل الذي يرفض نعمة الله باسم التواضع، أي تواضع هذا الذي يرفض نعمة الله ورتبة التبني، بل العجيب هو عبارة الدسقولية «امح الذنب بالتعليم» هل الآن صارت الأرثوذكسية ذنباً يحتاج إلى أن يمحوه التعليم، وأي تعليم هذا، هل استطاعت الأريوسية ومن بعدها النسطورية أن تمحو الأرثوذكسية، وهل تحولت القسطنطية إلى معقل للنسطورية لأن بطريرك القسطنطية في ذلك الزمان كان نسطور نفسه...، تمضي القوة من حيث جاءت، وتسقط في بالوعة التاريخ، ويبقى الحق في مكانه لا يتزعزع. ويستطرد القديس كيرلس في رده على نسطور حول «إخوة» البشر the brother-hood للمسيح.

أقول له (لنسطور) هل كان لله الكلمة إخوة brothers حسب اللاهوت؟ ما أسخف هذه الفكرة، كان الرسول القديس بولس يقصد عندما كتب هذه الكلمات "يا أولادي الصغار الذين أنا أتمخض بهم مرة ثانية حتى يتصور (يتكون) المسيح فيهم" (غل ٤: ١٩)، وفي موضع آخر يقول أيضاً للذين صاروا

[1] راجع أيضاً صلوات المعمودية حسب طقس كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

كاملين في الإيمان حسب الروح "ونحن جميعاً بوجه مكشوف سوف ينعكس علينا مجد الرب لكي نتغير إلى صورته من مجد إلى مجد من الرب الروح، والآن الرب هو الروح، وحيث روح الرب توجد (تكون) الحرية" (٢كو٣: ١٨)، هل كان الرسول يقول للغلاطيين أنهم لم ينالوا ختم الحرية من الجسد الذي يخص ذاك، الذي هو من "نسل داود حسب الجسد"، وهل كان الرسول يتمخض بهم مرة ثانية لكي يتصور المسيح فيهم ، ليس حسب الجسد ، بل حسب صورة المسيح، لأننا نحن الذين على الأرض ننال صورة المسيح عندما نتغير من مجد إلى مجد، ونتحول إلى صورة الرب عينها "لأن الذين عرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة أبنه" (رو٨: ٢٩ ، ٣٠) (المرجع السابق ٢: ١٠٩٤).

لقد أخذنا – كما يذكر القديس كيرلس نفسه – صورة الآب الأولى للبشرية "لكن كما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السمائي" (١كو١٥: ٤٩)، لأن صورة الترابي، أي آدم، هي صورة تحمل الخطية وتحت سلطان الموت والفساد (المرجع السابق ٢: ١٠٩٤). هذا التحول إلى صورة المسيح يجعل من الصعب علينا أن نفصل بين اللاهوت والناسوت، لأن الذي تحول هو ناسوت الرب نفسه بسبب الاتحاد الذي به جاز "وادي ظلال الموت"، وبه أباد الموت ونال الانتصار، ولذلك يؤكد القديس كيرلس أن كل هذه عائدة إلى الطبيعة غير الدنسة اللاهوتية التي تعلو على كل صور للخطية والموت، لأنها الطبيعة القدوسة البارة، والتي تعلن لنا أن الكلمة الذي من الله الآب قد جددنا، وأعطانا أن نكون شركاء طبيعته اللاهوتية (٢بط ١: ٤) بالروح القدس (المرجع السابق ٢: ١٠٩٤).

وفي آخر مراحل تطور الحوار الأرثوذكسي مع النسطورية وفي كتاب «المسيح واحد» الذي ترجم في القاهرة ونشر مرتين، وها هو يترجم وينشر باللغة الإنجليزية – يرد القديس كيرلس على أفكار نسطور:

[لقد افتدانا الله إذ لم يكن في استطاعة آخر أن يفدينا، لأن هذا مستحيل أن نُفتَدى بدم إنسان مثلنا، هو إنسان مزيف يدعى الألوهة ويدعى كذباً الابن ويموت عنا، ولكن السر العظيم الفائق، أي سر الابن الوحيد، لا يجب أن يصبح مصدر تهكم وشرح عاطل مبني على إنكار تجسده حتى نقول إن إنسان صار مخلصنا وفادينا، وننشر هذا التعليم الكاذب وندعي بأن (المسيح) لم يكن هو الذي أعطانا دمه الخاص لأجلنا بل مجرد إنسان، لأن الرسول القديس بولس قد كتب للبعض يقول "كان يلزم أن أشباه الأشياء التي في السموات تطهر (بالدم) وأما السماويات عينها فبذبائح أفضل من هذه (ذبائح العهد القديم) لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا ولا ليقدم نفسه مراراً... ولكنه

الآن قد أعلن مرة أخرى عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه"
(عب ٩: ٢٣ – ٢٦)] (المسيح واحد – النص اليوناني عام ١٠٢٩٨).

وهكذا يبدو الاحتجاج النسطوري الذي يقدم الآن ضد اتحاد ربنا يسوع بالناسوت ظاهر للعيان، لأن العبارات لا تشرح سر الخلاص، ولا تقدم التعليم الأرثوذكسي، بل تهدم كل أركان الأرثوذكسية، لأنه عندما يقول:

«اللاهوت لم يتألم... الخ».

فهو ينفي خطأ لا نختلف عليه ولكنه عندما نتوقف عند نفي الخطأ، ولا نقدم ما هو إيجابي، أي سر الخلاص، يصبح التعليم نسطورياً؛ فقد شكل تعليم نسطور اعتراضات عقلية مثل تلك التي ذكرناها، ومثل عبارات «اللاهوت لا يؤكل» ثم يتوقف عند هذه العبارة دون أن يشرح أو يعلن إيمانه الذي تقدمه الليتورجية.

«الجسد المحيي»
وهو لا يُحيي لأنه جسد بشر،
ولكن لأنه جسد الحي إلى الأبد.

«الأسرار الإلهية غير المائتة السمائية»
لأن ما هو على المذبح هو
«جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة»

"آمين".

الفصل الثاني

«مع» و «في» حسب تدبير الخلاص

يقول الرسول "فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح... إنكم تثبتون في روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل" (فيلبي ١: ٢٧) ولكن هذا الجهاد ليس جهاداً جسدانياً بل هو "بربنا يسوع المسيح" (رو ١٥: ٣٠) والاتحاد بالمسيح أدخل تعبيرات جديدة على اللغة اليونانية الكلاسيكية.

التركيب اللغوي اليوناني الغريب على العربية:

١ـ يموت (مع) Synapothnesko
(٢كو ٧: ٣)

٢ـ يملك (مع) Synbasileuo
(١كو ٤: ٨)

٣ـ متحد (ب) Synbibazo
(أف ٤: ١٦ ، كو ٢: ٢، ٢: ٩)

٤ـ يتألم (مع)(*) Synpascho
(١كو ١٢: ٢٦)

وإضافة المقطع Syn في أول الفصل في اللغة اليونانية لا يضيف حرف الجر أو غيره، بل يجعل الفعل اليوناني فعل واحد بلا حرف جر. مثال لفعل مشهور وهو في اليونانية Synergeo وترجم إلى «يعمل مع» ولكن الإضافة لأصل الفعل في اليونانية لا تستوجب وجود «مع» حسب الأصل اليوناني لنص (١كو ١٦: ١٦) 6υνεργομντι.

راجع النص العربي:

(*)(راجع باقي القائمة في آخر الفصل).

"كل من يعمل معهم ويتعب".

بينما الأصل لا يستخدم «مع».

ومثل آخر: 6υνεργομντις δε και.

الترجمة العربية "نحن عاملون معه"، بينما الأصل لا يستخدم «مع»، ونفس الكلام ينطبق على فعل يشترك synkoioneo (أف ٥: ١١ ، في ٤: ١٤).

وعجزت اللغة العربية عن أن تعطي المعنى الدقيق لهذه العبارة ευμμιμηται μον إذ لا يوجد حرف جر بالمرة في الأصل، وعندما تُرجمت "كونوا متمثلين بي" (في ٣: ١٧) جاءت الترجمة الإنجليزية أدق Fellow Imitator كان من الضروري نحذر القارئ حتى لا يقع أسيراً لفتاوى لاهوتية تصدر عن جهل بالأصل اليوناني لكلمات العهد الجديد. ولذلك علينا أن نلاحظ أن الدفن مع المسيح في رومية (٦: ٤) والدفن معه في رومية (٦: ٥) وغيرها هي أفعال لا يوجد معها حرف جر.

دفننا	6υνεταφημεν
اتحدنا	6υμφυται

فالفعل اليوناني لا يفصل بحرف جر بين المسيح والمؤمن، بل هو فعل واحد متصل، صلبنا ودفنا وغيرها هي **أفعال الحاضر الدائم** التي اكتسبت قوتها من حياة المسيح نفسه رب المجد الحي، الذي يجيء إلينا حاملاً في شخصه الإلهي المتجسد قوة الصليب وقوة القيامة.

القاعدة اللاهوتية التي لا تقبل الخطأ

إستخدم الرسول بولس حسب الأصل اليوناني «في المسيح» ٨٣ مرة، واستخد أيضاً «في الرب» حسب الأصل اليوناني ٤٧ مرة، هذا الاستخدام الخاص مصدره الرب يسوع الحي القائم من الأموات، رأس الجسد، الكنيسة الذي تنمو فيه كل الأعضاء معاً.

كيف يفسر الإيمان الأرثوذكسي عبارات الرسول، "نعمة الله هي الحياة الأبدية في المسيح يسوع" (رو ٣: ١٤) ؟.

هل يمكن أن نتصور وجود ذاتي مستقل لشئ إسمه «النعمة»؟، الكلمات الرسولية تقول لا ، لماذا ؟ ، يجيب الرسول نفسه "إحسبوا أنفسكم أمواتاً للخطية وأحياء لله في المسيح يسوع" (رو ٦: ١١)، والحياة هنا ليست شيئاً خارج المسيح له وجود مستقل إسمه الحياة، بل أحياء الله في يسوع المسيح الذي رد لنا الحياة الأبدية كنعمة.

العبارات هنا هي إشارات إلى حقيقة حية وواقع يعاش. والدليل هو: "الراقدين في المسيح" (١كو ١٥: ١٨) هؤلاء لم يذهبوا إلى فراغ لأن هؤلاء عاشوا الخليقة الجديدة "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو ٥: ١٧)، هؤلاء في المسيح "ليس الآن دينونة على الذين هم في المسيح يسوع" (رو ٨: ١)، وأيضاً "الذين تقدسوا في المسيح يسوع" (١كو ١: ٢).

فما هي هذه القاعدة؟

أولاً: جاء الرب بالحياة ليس كعطية تضاف للإنسان من الخارج، ولكن كعطية حياة تعطى للإنسان لكي يبقى الإنسان في شركة دائمة مع الرب يسوع المسيح، شركة لا تقبل الانقطاع وهي التي تغنى بها الرسول في (رو ٨: ٣٥ - ٣٩) إنشودة المحبة الإلهية، التي غلبت كل القوى التي جاءت مع الخطية والموت والدينونة والشيطان، وهي القوى التي تفصل الإنسان الذي لا وجود له في المسيح، لاحظ الترتيب الرسولي لهذه القوات:

الحياة الحاضرة: أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف.

الحياة في المسيح: فإني متيقن أنه لا موت، لأن الرب غلب الموت، ولا حياة، لأن الرب أقامنا معه وفيه، ولا ملائكة، لأنه صالح السماء والأرض، ولا رؤساء ولا قوات، لأنه قهر قوى الشر وظفر بهم في الصليب (كو ٢: ١٥).

الحياة المنتصرة: لا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.

والتأكيد يجئ من الرسول نفسه "لكي أربح المسيح **وأوجد فيه**" (في ٣: ٩).

* وجود جديد حسب المسيح.
* وجود قديم حسب الخطية.
* وجود لا انفصال فيه عن محبة الله في المسيح.
* وجود فيه انفصال العداوة في الفكر وفي الأعمال الشريرة.

ثانياً: تأمل أيها القارئ خطورة تعليم يدعونا إلى شركة في ناسوت الرب وحده، حتى في التناول وهو سر الشركة !.

* لقد هدم هذا التعليم تجسد الرب، وهدم معه بذلك شركتنا مع الله في المسيح، لأن شركتنا في يسوع الإنسان هي علاقة أخلاقية، مثل أي علاقة إجتماعية في نادي أو هيئة عامة.

لقد تفوق آدم الأول، الأب الأول لنا، على آدم الأخير يسوع المسيح، الذي ليس هو إنسان فقط بل الإله المتجسد، حسب مقارنة الرسول بولس نفسه في (١كو ١٥: ٢٢ - ٤٩). نحن نعرف آدم الأول ولا نحتاج إلى عظات عنه بالمرة، نراه في الشوارع وفي السجون وفي

الحاكم، ويتحدث إلينا على صفحات الجرائد وعلى شاشات التليفزيون، وأحياناً نراه يعظ في بعض كنائسنا ويكتب مقالات في اللاهوت حافلة بالمغالطات. ولكن ماذا عن آدم الأخير الرب من السماء يقول الرسول عنه إنه:

* إن كان المسيح فيكم ... (رو ٨: ١٠).

هل فينا بالجسد وحده أو حسب الناسوت فقط مثل آدم الأول ؟. من يجيب بالإيجاب، هدم المسيحية.

* لأنه وإن كان قد صُلب من ضعف لكنه حي بقوة الله. فنحن أيضاً ضعفاء فيه (يسوع) لكننا سنحيا معه بقوة الله (٢كو١٣: ٤، ٥). وصدى هذه الكلمات نراه في غلاطية، في نص صار علامة من علامات طريق الحياة "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.." (غل ٢: ٢٠، ٢١). فالمسيح حي فينا ونحن أحياء فيه، لأنه هو "القيامة والحياة" (يو١١ :٢٥)، هل هذا حسب الناسوت وحده، أي أن حياته الإنسانية فقط هي التي فينا ؟ كيف تصل إلينا هذه الحياة بدون شخصه الإلهي المتجسد.

* وعندما يقول الرسول أن الغني الذي أراد الله أن يعلنه في الأمم هو "المسيح فيكم رجاء المجد" (كو ١: ٢٧)، فأي مجد نناله إن لم يكن هو مجد كرامته وقوته، لأنه "المسيح هو حياتنا" (كو ٣: ٤) لأن المسيح "يحل بالإيمان في قلوبنا" (أف ٣: ١٧).

القاعدة اللاهوتية التي وضعها القديس أثناسيوس، والتي اعتمد عليها في هدم الأريوسية، وهي أكبر حركة إرتداد عن الإيمان المسيحي:

١ـ إذا كان المسيح مخلوقاً مثلنا فما هو الجديد في علاقة الإنسان بالله.

٢ـ إذا كان المسيح ليس الابن الأزلي، فكيف نلنا حياة جديدة فيه؟، وهذه هي كلمات المعلم السكندري:

[لقد أخلى ذاته متواضعاً، وسلم جسده الخاص به (جسده الذاتي) إلى الموت، لأنه كان جسداً قابلاً للموت، إلا أنه في ذلك عينه قد تمجد ورُفِعَ من مكانته (الجسد) الأرضية، لأنه كان جسد ابن الله.] وتبعاً لما ذكرنا الآن قيل في هذا الشأن عينه "لذلك مجده (رفعه) الله"، ويؤكد ذلك كلمات بطرس الرسول في سفر الأعمال "الذي أقامه الله ناقضاً (هادماً) سلاسل الموت لأنه كان من المستحيل أن يَمسك به الموت (يجعله الموت تحت سلطانه) (أعمل ٢: ٢٤)... "لأن الإنسان كان عاجزاً أن يدفع عن نفسه الموت، لأن الموت ساد على الإنسان، ولكن لأن الكلمة هو الله، وتجسد ومات بالجسد، أحيا كل البشر بقوته.] (ضد الأريوسيين ١: ٤٤).

لقد مُجدت الإنسانية في المسيح ورُفعت به إلى الاتحاد بالله، وبه دخلت السماء، التي تؤكد التقوى الأرثوذكسية«لم يدخلها أحد ذو طبيعة بشرية» (قسمة سبت الفرح)، ولذلك يقول القديس أثناسيوس:

[عندما يقال أن الابن قد مُجد، فهذا لم يقال بالمرة قبل تجسده، بل من الواضح أنه «تواضع» وبعد ذلك «مُجِّد»، وهذا خاص بطبيعة الإنسانية. لأن طبيعة الإنسان كانت محتاجة وفقيرة، بسبب ما آلت إليه طبيعة الجسد، وما حل به أي الموت، ولهذا السبب جاء الكلمة غير المائت وهو صورة الآب، وأخذ صورة العبد ومات كإنسان بالجسد، لكي من خلال تقدمة ذاته للموت يقدمنا للآب...، لكي بموته نموت نحن جميعاً في المسيح، وأيضاً لكي في المسيح نرتفع لأننا قمنا من الموت وبه نصعد إلى السماء..] (المرجع السابق ١: ٤١).

كيف حدث هذا التحول في الإنسانية، حيث لم يعد الإنسان في المسيح، مقبولاً لأنه يهودي، أو مرفوضاً لأنه يوناني، أو بلا كرامة لأنه عبد، أو له مكانة مرموقة لأنه سيد.

لأن جميعكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.

ليس يهودي ولا يوناني.

ليس عبد ولا حر.

ليس ذكر وأنثى (غل ٣: ٢٧ – ٢٨).

من الذي أزال هذه الفوارق: العرقية، الثقافية، الاجتماعية بل البيولوجية ـ يهودي (الأصل العرقي)، يوناني (الثقافة)، العبد والحر (المكانة الاجتماعية)، الذكر والأنثى (التركيب البيولوجي).

أنظر كيف صرنا، حسب بقية التعليم الرسولي

"لأنكم **جميعاً واحد** في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨).

أليست هذه الفوارق عائدة أصلاً إلى آدم الأول، إلى بلبلة الألسنة عند بناء برج بابل، إلى إنقسام الشعب والشعوب، إلى سيادة القوة...؟

هل عدنا إلى الله بعلاقة جسدانية مع المسيح ؟، وهو حسب الجسد من بيت داود، يهودي، ولكن هذه النقلة الأبدية التي عادت فيها الإنسانية إلى أصل جديد، آدم الأخير الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧).

ويعود الرسول إلى أساس التدبير، أي تدبير الخلاص ليعلن لنا "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح... إختارنا فيه (يسوع المسيح) قبل تأسيس العالم (قبل الخلق)"... (اف ١: ٤) أي قبل تجسده كان تدبير الخلاص، الذي أعلن في ملء الزمان (غل ٤: ٤).

الاختيارين اللذين لا ثالث لهما

الاختيار الأول: هو آدم الأول، لا يحتاج إلى براهين من الكتاب المقدس ـ وكما نقول في اللغة العربية المصرية الدارجة «على عينك يا تاجر» الخطية والموت والجهل، وما يتفرع عنها من ممارسات علنية وسرية...، وما ذكره الرسول في الأصحاح الأول من رسالته إلى رومية (١: ١٨ – ٣٢) ليس غريباً على فكر وقلب أي قارئ يفتح صفحة الحوادث في أي جريدة يومية، لكي يقرأ فيها بعض ما ذكره الرسول.

الاختيار الثاني: هو آدم الأخير أو الإنسان الثاني (١كو ٢: ٤٥ – ٤٧)،

الترابي صار سمائياً.

الفساد صار عدم فساد.

الهوان تحول إلى مجد.

الضعيف أخذ قوة القيامة لكي يقوم في قوة.

الحيواني الذي يحيا بما تقدمه الأرض، صار روحانياً.

هذا التحول العظيم الأبدي، يضعه الرسول نفسه في عبارة تجمع خلاصة العهد الجديد.

الإنسان الأول من الأرض ترابي.

الإنسان الثاني الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧).

ولاحظ أيها القارئ يقول الرسول إن الإنسان الثاني هو الرب من السماء، فليس هو ناسوت إتحد بلاهوت، بل هو ابن الله الأزلي الذي أخذ جسداً في ملء الزمان (غل ٤: ٤)، وسكن بيننا (يو ١: ١٣، ١٤).

الاختيار الأول: يتكلم عن القيامة العامة، ولا يعترف بأن القيامة العامة سببها قيامة المسيح، ولا يذكر، ولو عرضاً، أن جسدنا الترابي سوف يصبح سمائياً، حسب كلمات الرسول السابقة والتي كررها في (في ٣: ٢١) "الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بسبب استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ"، ونكتفي بكلمات القديس يوحنا ذهبي الفم بهذا الشأن: ["ليكون على صورة جسد مجده"، ما هذا العمل العجيب الفائق!! هل سيتغير جسدنا ليكون مثل جسد مجده، أي جسد ذاك الذي يجلس عن يمين الآب، والذي تسجد له الملائكة وتقف أمامه القوات غير المتجسده، والذي هو فوق كل رئاسة وسلطان..] (عظة ١٣ على في ٣: ٢١).

الاختيار الأول نراه في المصادر الإسلامية، الله الخالق بقدرته سوف يبعث الموتى، **والاختيار الثاني** يؤكد أن هذه القوة معلنة في يسوع المسيح. ونترك الاستنتاج للقارئ.

إعلان الثالوث لنا:
أنتم آلهة من فم الآب والابن والروح القدس

لعل أخطر ما يمكن أن يقال عن البشر هو عبارة المزمور ٨١، و في الترجمة السبعينية ٨٢ في الترقيم العبراني السائد عندنا. ونص المزمور حسب الأصل العبراني واليوناني هو:

"الله قائم في مجمع الآلهة. في وسط الآلهة يقضي.
حتى متى تقضون ظلماً (أو جوراً). اقضوا للذليل
أنصفوا المسكين،
لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشون.
أنا قلت أنكم آلهة، وبنو (الله) العلي كلكم.
لكن مثل البشر تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون.
قم يا الله دِن الأرض. لأنك تملك كل الأمم".

أولاً: شرح القديس إيريناؤس

شَرَح القديس إيريناؤس مزمور ٨٢ في ثلاثة مواضع في كتابه ضد الهرطقات (الكتاب ٣: ٦، ٣: ١٩، ٤: ٣٨). وفي (الكتاب ٣: فصل ٦) يأخذ نص المزمور ضد تعدد الآلهة، الذي وقعت فيه البدعة الغنوصية، "الله قائم في مجمع الآلهة.." (مزمور ٨٢: ٦) ويقول إن كلمات المزمور هي:

[عن الآب والابن وعن الذين نالوا التبني، وهؤلاء هم الكنيسة، لأن الكنيسة هي مجمع الله، التي جمعها الله، أي الله الابن بنفسه". وعن ذلك أيضاً يقول المزمور "إله الآلهة الرب قد تكلم ودعى الأرض" (مزمور ٥٠: ١). من هو الإله الذي أشار إليه ؟، هو ذلك الذي قيل عنه: "يأتي الله علانية، إلهنا لن

يصمت" (مز ٥٠: ٣ السبعينية) وقد جاء الله الابـن، وأعلـن ذاتـه للبشـر...]
(راجع الترجمة الإنجليزية آباء ما قبل نيقية ص ٤١٩).

وكأن القديس إيريناؤس سمع الأسئلة التي تطرحها علينا البيئة الإسلامية في أيامنا، وهو نفسه يسأل ذات السؤال:

[من هم هؤلاء الآلهة التي يذكرها المزمور ٨٢: ٦ ؟، هـؤلاء بـلا شـك الـذين قبلوا نعمة التبني، والتي بها ينـادون الآب "أبـا أيهـا الآب" (رو ٨: ١٥). وكمـا ذكرت لا يوجد آخر يدعى الله والرب، إلاّ إيـاه الـذي قـال لموسـى "أنـا هـو الرب.." (خروج ٣: ١٤). وهنا نرى أن النعمة تجعلنا آلهـة، ولكـن يبقـى الله إلهنـا خالقنا هو مصدر النعمة.]

وفي الفصل ١٩ من الكتاب الثالث، يشرح القديس إيريناؤس خطأ الـذين يقولـون أن الرب يسوع المسيح إنسان فقط، ولد من زواج يوسف والقديسة مريم ويرد على هؤلاء:

[هؤلاء يجهلون أنه منذ حُبل به، هـو لازال عمانوئيـل، وبسـبب هـذا الجهـل يفقد هؤلاء نعمته أي الحياة الأبدية (رو ٦: ٢٣)، لأنهـم لا يشـتركون في الكلمة عديم الفساد، ويظلون في جسد الموت، وتحت وصاية الموت، لأنهـم لم ينـالون ترياق الحياة، إلى هؤلاء يقول الكلمة (اللوغوس) معلناً لهـم عطيتـه ونعمتـه "أنا قلت أنكم آلهة وأبناء العلي.." (مز ٨٢: ٦، ٧) وهو يقول هذه الكلمات بلا شك لكل الذين لم ينالوا نعمة التـبني، ويحتقـرون التجسـد ومـيلاد الكلمة النقي من الله، ويمنعون الطبيعة الإنسانية مـن التقـدم نحـو الله[1]، وهـم بـذلك يبرهنون على جحودهم للكلمة الذي من الله، والذي لأجلـهم تجسـد، وهـو الذي ابن الله وصار ابن الإنسان، فنقل الإنسان إلى الكلمة لكي ينال التبني ويصبح ابناً لله، ولم يكن متاحاً لنا أي وسـيلة أخـرى ننـال بهـا عـدم الفسـاد والخلود، إلاّ تلك، وهي إتحدنا بعدم الفساد والخلـود. ولكـن كيـف يمكـن أن نتحد بعدم الفساد وبالخلود، إلاّ إذا جاء إلينا أولاً عديم الفساد والخالد لكـي يَبتلع عدم الفساد الفاسد، والخالد الموت، حتى ننال نعمة الأبناء؟ (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٤٤٨، ٤٤٩).

نحن آلهة بالتبني لمجد الله، وليس لكي نسرق المجـد الإلهـي، بـل لقـد جـاء هـذا التبادل[2] بيّن ما فينا من ضعف وفساد وموت لا يمكن إصلاحه أو تجديده بأي

---

[1] تقدم أو تطور الطبيعة الإنسانية في المسيح هو أحد أساسات العهد الجديد، عبر عنها كل الآباء واستقرت في تسابيح الكنيسة الجامعـة ولازالـت تقـل عندنا، "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له" وهي أقصر عبارة تشرح مجد النعمة وتُعرف في الدراسات اللاهوتية المعاصرة بعبارة موجزة Tantum-quantum.

[2] أي التبادل الذي تم في المسيح بتجسده وموته وقيامته، والتي عبر عنها القديس إيريناؤس نفسه "صار ابن الله إنساناً لكي نصير نحن ما هو" (ضد الهرطقات – الكتاب الخاص، المقدمة).

وسيلة أو قدرة مخلوقة، ولذلك كان إحتياجنا إلى المخلص ابن الله الذي له القوة والقدرة الإلهية].

وفي الكتاب الرابع فصل ٣٨ فقرة ٣ يذكر القديس إيريناؤس أن الله وحده هو مصدر الصلاح والخلود، وأنه هو الأصل أو الينبوع لعدم الموت أو الخلود. [والخضوع إلى الله هو البقاء في الخلود، لأن الخلود هو مجد الله غير المخلوق] (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٥٢١). فما هي حقيقة العلاقة مع الثالوث؟ نجد الإجابة في نفس الفقرة ولاحظ دقة كلمات القديس إيريناؤس:

[دبر الآب كل شئ حسب صلاحه وأعطى بذلك الوصايا، عمل الابن بوصايا الآب، وأتقن كل شئ فخلق كل الأشياء، لكي يغذي الروح القدس وينمي كل المخلوقات.

أما الإنسان فهو ينمو كل يوم صاعداً، يوماً بعد يوم، إلى الكمال، أي نحو ما هو غير مخلوق، لأن غير المخلوق هو الكامل وهو الله، الأمر الذي لأجله خلق الإنسان، لأنه خُلق لكي ينمو وعندما ينمو ينال قوة.

وعندما ينال القوة يَثْبُت.

وعندما يثبت ينال الشفاء من وهن الخطية.

وعندما ينال الشفاء يتمجد.

وعندما يتمجد يرى الرب،

لأن الله هو ما يجب أن نراه،

لأن رؤيتنا لله هي ثمرة الخلود.

والخلود هو الذي يقربنا من الله]. (المرجع السابق)

فهل نمو الإنسان صاعداً نحو معاينة أو رؤية الله ونموه هو إختطاف الألوهة؟ بكل يقين لا.

وفي الفقرة الرابعة في نفس فصل ٣٨ يعود القديس إيريناؤس إلى ذات نص مزمور (٨٢: ٦ – ٧) لكي يفند تعليم الغنوصيين ويقول:

[هل نلوم الله لأنه لم يخلقنا آلهة في البدء، بل خلقنا بشراً لكي نصير بعد ذلك آلهة، ألم يختار الله هذه الخطة، التي هي من صلاحه الكامل، لكي لا ينسب أحد إليه الحسد والحقد، فأعلن الله "ألم أقل أنكم آلهة وبني العلي..." (مزمور ٨٢: ٦ – ٧)، ولأننا لم نكن قادرين على أن نحتفظ بقوة الألوهة، أضاف الله

"ولكن مثل البشر تموتون" فأعلن بذلك الحقيقتين ، الإحسان والعطية الحرة، وضعفنا نحن البشر، لأننا إمتلكنا قوة السيادة على وجودنا]. (المرجع السابق).

هل يوجد تعليم أكثر وضوحاً من هذا ؟، تعليم يقال في بيئة وثنية لديها آلهة في أساطير وعبادة الوثنيين. هل كان القديس إيريناؤس يجهل ذلك؟ بكل يقين لا، لأنه يكتب رداً على الغنوصية التي جاءت بسلسلة طويلة من الآلهة، ولكن المعلّم الكنسي لم ينحرف إلى الاتجاه المعاكس أو المضاد، لكي ينكر نعمة الله في خلق الإنسان حسب صورته ومثاله، وهي نعمة الألوهة الممنوحة من الله الخالق حسب نص مزمور (٨٢: ٦، ٧). **وهكذا لم يكن السقوط هو إشتهاء الألوهة بل عدم البقاء فيها.** ولم تكن خطية آدم هي إشتهاء الألوهة بل طلب هذه الألوهة من المعرفة وليس من الله خالقه.

ويعود القديس إيريناؤس بعد ذلك في نفس الفقرة ليقول:

[ولكن بعد صلاحه العظيم، أعطى من خيره good للإنسان، وجعل البشر مثله made men like himself حسب استطاعتهم، بينما حسب عِلمهُ السابق بضعف البشر، وثمار هذا الضعف، إلاّ أنه بمحبته وبقوته سوف يغلب الله هذا الضعف، لأنه كان من الضروري أن توجد (أو تخلق) الطبيعة البشرية، وبعد أن تُغلب بالموت، تنتصر ويبلع عدم الموت (أو الخلود) ما هو مائت، وعدم الفساد يبلع الفاسد، لكي يخلق الإنسان (من جديد) حسب صورة الله ومثاله بعد أن عرف معرفة الخير والشر.] (راجع الترجمة الإنجليزية ص ٥٢٢).

وفي الكتاب الرابع، الفصل ٣٩، الفقرة الأولى، يناقش ما جاءت به معرفة الخير والشر، وكيف عرف الإنسان أن عدم طاعة الله هي الشر، وأنه ذاق الشر بالمعرفة، وبذلك ذاق الموت. كانت الغنوصية تقوم على تأليه الشر، واعتبار أن العالم المادي المنظور من خلق إله شرير جاء بالعالم المادي، لكي «يسجن» الأرواح الطاهرة التي تحيا في العالم الروحي عقاباً لها. وكان الجسد هو «السجن». وكان الخلاص بالمعرفة عند الغنوصية هو التعليم المضاد للإنجيل:

١ـ لأن الخلاص بالإيمان وهو عطية الله.

٢ـ لأن الخلاص جاء بتجسد الكلمة، وتحرير الإنسان من الموت والدينونة على الصليب، وبعطية الخلود بالقيامة وحلول الروح القدس.

وخلقت الغنوصية سلسلة من الآلهة تقدم الإعلانات الروحية للإنسان. وعندما حدث الصدام مع الكنيسة، لم تتراجع الكنيسة عن التعليم خوفاً أو حذراً، بل جاء التأكيد على التعليم الرسولي بأن الإنسان دعي للخلود ليس بواسطة المعرفة ولكن بواسطة الخالق، الذي دعاه لأن يكون إلهاً، أي خالداً عديم الموت، وعندما سقط الإنسان لم يتراجع الله عن

خطته وغيرها بخطة أخرى، بل دبر خلاص البشرية. هذا ما يذكره القديس إيريناؤس في الكتاب الرابع كله. وهذه بعض فقرات من الفقرة الثانية، من الفصل ٣٩، من نفس الكتاب الرابع، ولاحظ أيها القارئ أن عنوان الكتاب كله هو «ضد الهرطقات».

[كيف يصبح الإنسان إلهاً وهو لم يخلق أولاً كإنسان؟.. ومرة ثانية أسأل: كيف يصبح خالداً وهو الذي بطبيعته القابلة للموت لم يطع خالقه؟، لأنه كان من الضروري لك أيها الإنسان أن تكون أولاً في مرتبة البشر، وبعد ذلك تشترك في مجد الله.،، وإذا كنت أنت أيها الإنسان أحد مخلوقات الله، عليك إذن أن تنتظر يد خالقك الذي يخلق كل شئ في الزمان المحدد.] (كتاب ٤، فصل ٣٩، فقرة ٢ راجع صفحة ٥٢٢ – ٥٣٣ من الترجمة الإنجليزية).

أليس الخلود هو صفة من صفات الله، وأليس معرفة الله هي ثمرة الخلود..؟

قولوا لنا يا من تحاربون نعمة الله.. هل الخلود قدرة إنسانية كامنة في الإنسان أم نعمة.. أليست هذه هي الشركة في الطبيعة الخالدة التي لا تموت.

ثانياً: إكليمندس الإسكندري[1]

يعيد إكليمندس ذات كلمات القديس إيريناؤس ولكن بصيغة أخرى، [تجسد اللوغوس لكي نتعلم نحن من إنسان كيف يمكن للإنسان أن يصير إلهاً].

Protrepticus 1: 8 - 4

ويتعلم كل مسيحي هذه الحقيقة من الأسفار المقدسة (الكتاب المقدس) لأن الأسفار «تقدس وتؤله معاً». Prot. 9: 87

لقد جاء المسيح لكي ينقل الحياة الإنسانية من الفساد إلى التربة soil غير الفاسدة، ولكي يعطي للإنسان نصيبه الإلهي في الآب، ويؤله البشر بالتعليم السماوي عندما يكتب الشريعة في داخلهم (إرميا ٣١: ٣٣).

كانت عند إكليمندس إهتماماً خاصاً بالمعرفة، ولعل كثرة استخدامه لكلمة معرفة (غنوص) هو الذي فتح الباب لنقده. لكن هذه المعرفة تختلف تماماً عن المعرفة عند شيع الغنوصية، لأنها تعتمد ليس على التأمل العقلي الذي تقدمه الغنوصية، بل على إعلان الآب في ابنه الكلمة اللوغوس، وعلى ما جاء في كل أسفار الكتاب المقدس (رفضت

[1] كان إسم إكليمندس الإسكندري في قوائم معلمي الإيمان الأرثوذكسي، وظل كذلك حتى بدأ الهجوم عليه في بعض مدارس اللاهوت الكاثوليكية التي طلبت رفع إسمه. أما في كنيسة الإسكندرية فلم يهاجم بالمرة، ولا يوجد ما يدعو إلى عدم إستخدام لقب قديس عند الإشارة إليه.

الغنوصية العهد القديم كله)، ولذلك كان إكليمندس كنائسياً يؤمن بأن الحياة الحقيقية ومعرفة الحق تأتِ من الإنضمام إلى الكنيسة (المتنوعات ٧: ٩٥. ١ – ٢)، ولعل أهم كتاب لهذا المعلم السكندري هو كتاب المربي، لأن المربي هنا هو الرب يسوع المسيح. يقول إكليمندس:

[عندما يسكن (يحل) الكلمة في شخص فهو لا يتزين بالمساحيق والألوان، بل يحفظ في قلبه هيئة اللوغوس، لأن هذا يجعله مثل الله. مثل هذا الشخص هو حقاً جميل، بعكس الذي يتجمل، لأنه يوجد جمال حقيقي وهو الله، ومن يسكن فيه الله يصبح إلهاً لأن الله يريد ذلك] (المربي ٣: ٢ – ١) والفقرة الأخيرة عن التأله احتفظ بها أبوليوس (هيبوليتوس في رده على الهرطقة الفقرة ٩).

التأله هنا هو سلوك القداسة، ليس كما قيل عندنا أن يخرج مسيحي تناول جسد الرب ودمه ليقول للناس أنا صرت إلهاً، بل أن يصبح الإنسان فاضلاً، لديه ذات تواضع الرب يسوع، وليس تعدي وافتخار كمن ذهب عقله.

وإذا كان القديس إيريناؤس، قد وضع أساس الشركة في طبيعة الله، كهبة الله في الأسرار بسبب عمل الروح القدس (القديس إيريناؤس ، ضد الهرطقات كتاب ٥، فصل ٨، فقرة ١) فإن إكليمندس ، رجل التقليد الكنسي، يقول هو أيضاً:

[عندما نعتمد نستنير، وعندما نستنير نصبح أبناء، وعندما نصبح أبناء ننال الكمال، وعند ذلك ننال الخلود لأنه قيل في الكتاب المقدس أنتم آلهة وبني العلي..] (مزمور ٨٢: ٦) (المربي الكتاب الأول، الفصل ٢٦، الفقرة الأولى).

ولعل القارئ القبطي الأرثوذكسي الذي سمع أو إشترك ولو مرة واحدة في خدمة سر المعمودية، يتذكر هذه العبارات التي لا تختلف في جوهرها عن كلمات المعلم السكندري.

«أيها السيد الرب الإله ضابط الكل.. إجعلهم مستحقين النعمة لينالوا من روحك القدوس، ويمتلئوا من قوتك الإلهية، ويكونوا متشبهين بابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح صائرين واحداً معه».

«إدعهم إلى نورك الطاهر.. عرهم من عتيقهم.. إملأهم من قوة بروحك القدوس.. لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق».

«إجعلهم أهلاً بغير عيب وبطهارة أن يقبلوا إليهم النور، وخاتم مسيحيك، وموهبة روحك القدوس.. ويصيروا حلة نورانية».

ويعود القديس إكليمندس إلى نص مزمور ٨٢: ٦:

[لقد آن الأوان، الذي يجب أن نؤكد فيه أن المسيحي الملتزم غني، وأن له عقل راجح، لأنه ولد من أصل نبيل. لأنه صورة الله مع مثاله (تكوين ١: ٢٦)، وعندما يصبح المسيحي، وقد خلق بالمسيح يسوع وصار باراً وقديساً بواسطة معونة الحكمة، فقد صار أيضاً مثل الله، حسبما قال النبي صراحة عن هذه النعمة الوافرة (الغنية) "ألم أقل أنكم آلهة وبني العلي.." (مزمور ٨٢: ٦) والآن، نحن ، كما أقول ، الذين قد نلنا التبني وصارت لنا الإرادة لكي ندعو الآب..]
(Protrepticus, 12: 122, 4 – 122)

وشرح نص المزمور (٨٢: ٦) بنفس الشرح السابق في المتنوعات (٢: ١٢٥ وفي المتنوعات ٤: ١٤٩).

ثالثاً: شرح القديس يوحنا ذهبي الفم لنص المزمور ٨٢: ٦ في عظاته على إنجيل يوحنا

١ـ العظة ١٤ على يوحنا ١: ١٦

[لنفترض أنه يوجد ينبوع أو مصدر للنار، وأخذنا من هذه النار وأشعلنا ١٠ آلاف مصباح، بل ضعف هذا العدد... وكلما أردنا ومتى طلبنا... ألا تظل النار كما هي في المصدر لا تنقص، كل واحد منا يعرف ذلك. وحتى الأجساد التي تبلى، تتوالد حسب طبعها، ولا ينقص الوالدين رغم تعدد الأولاد، فكم بالحري القوة غير المادية وغير المركبة من أجزاء مثل الأجساد...، إنها لا تنقص...، لذلك عندما يقول يوحنا "من ملئه نحن جميعاً أخذنا"، فهذه شهادة الإنجيلي يوحنا التي أضافها إلى شهادة السابق يوحنا المعمدان، وماذا أخذنا ؟، "نعمة فوق نعمة"، فما هي النعمة التي أخذناها ؟، ولماذا أعطيت نعمة فوق نعمة؟ من القديم إلى الجديد، هذه هي النعمة فوق النعمة. في القديم كان بر، والآن لنا بر؛ يقول الرسول "من جهة البر الذي في الناموس، بلا لوم" (فيلبي ٣: ٦). كان الإيمان في القديم، والآن لنا إيمان "من إيمان لإيمان" (رو ١: ١٧). كان التبني، والآن يوجد تبني "الذين لهم التبني" (رو ٩: ٧). وكان لهم مجد ولنا الآن مجد (٢كو ٣: ١١). أخذوا الناموس والآن لنا ناموس "لأن ناموس الحياة جعلني الآن حراً"] (راجع رو ٨: ٢).

وبعد ذلك يذكر العهد والخدمة، ويضع السؤال الذي يجب أن ندرسه:

[هل لأن ذات الأسماء استُعملت (لما في العهدين) نظن أن المعاني واحدة ومتطابقة ولا يوجد بينها أي اختلاف؟ إن ما ظهر (في العهد القديم) كان

مثالاً، والمثالات تختلف عن الحق. كانت المثالات تحتوي على الخطوط التي تحدد، ولكن الحق كان مختلفاً. فما هو وجه الاختلافات؟ لنفحص على الأقل مثالين، ومن أين نبدأ ؟، من التبني نفسه، فما هو الفرق بين التبني الأول (في العهد القديم)، والتبني الثاني (في العهد الجديد) ؟، الأول كان له كرامة الاسم، والثاني الحقيقة نفسها. عن الأول يقول النبي: "أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم" (مز ٨٢: ٦)، أمَّا عن الثاني "الذين ولدوا من الله" (يو ١: ١٣، ١٤) كيف وبأي وسيلة ؟، بحميم الميلاد الجديد، وتجديد الروح القدس؛ لأن الذين عاشوا (في العهد القديم)، رغم أنهم دُعوا أبناء، إلاَّ أنهم كان فيهم روح العبودية، ومع أنهم كانوا عبيداً، إلاَّ أنهم نالوا كرامة الاسم. أمَّا نحن، فإننا أحرار، **أخذنا الكرامة ليس في الاسم، بل العطية**. وهذا ما يعلنه الرسول بولس بقوله: "لأنكم لم تأخذوا روح العبودية للخوف، بل روح التبني الذي به نصرخ أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥)؛ لأننا وُلدنا من جديد، وخُلقنا، ولذلك نحن ندعى «أبناء».

هكذا من فم النبي، من الروح القدس، ومن الآب الذي منه ينبثق الروح القدس، ومن الابن الذي أخذ ذات كلمات المزمور ٨٢: ٦ (يو ١٠: ٣٢ وما بعدها)، ثم من واقع الحياة؛ لأن التبني ليس اسماً بلا مضمون، كان هذا هو الوضع السابق على مجئ الرب يسوع. الآن بعد كمال الخلاص، صارت الأسماء تحتوي على حقيقة معلَنة، لم تُختطف، بل وُهبَت من الله في الإله الحقيقي يسوع المسيح.]

٢ـ العظة ٦١ على يوحنا ١٠: ٢٢ ـ ٣٦

[أراد (الرب) أن يقول (لليهود) أنه إذا كان الذين أخذوا هذه الكرامة بالنعمة، وأنتم لم تجدوا في هؤلاء أي خطأ، ودُعوا آلهة، فما هو وجه الخطأ في أن يدعى إلهً ذاك الذي له ذات الطبيعة (الإلهية)، وأصبح يستحق الزجر؟ فهو لم يتكلم فقط، بل برهن على ذلك، ثم أضاف بعدها: "الذي قدَّسه الآب وأرسله" لكي يهدئ من حدة واشتعال غضبهم...]

ويقدم القديس يوحنا ذهبي الفم أكثر البراهين على إلوهية الرب يسوع.

٣ـ في العظة ٧٢ على يوحنا ١٤: ١٥ ـ ٢٠

يعود إلى نفس الموضوع ويشرح كلمات الرب: "في ذلك اليوم تعلمون أنني في الآب وأنتم فيَّ وأنا فيكم". فيقول:

[أمَّا عن الابن فهو في الآب حسب الجوهر. أمَّا عن التلاميذ، فإن القلب الواحد والمعرفة تأتي من الله. أخبروني هل هذا مقبول؟ أليس هذا هو سؤال بعض الناس؟ ولكن ما هو عكس ذلك، هل هو مقبول؟

ما أعظم الفرق والفواصل التي تميِّز المسيح عن التلاميذ. وإذا استخدمت الأسفار نفس الكلمات والأسماء، فإننا لا يجب أن نندهش لأن نفس الكلمات والأسماء التي تُستخدم لله والبشر تختلف معانيها. نحن دُعينا «آلهة» و «أبناء الله»، لكن كلمة إله لا تحتوي على نفس القدرة عندما تُستخدم لله والبشر.

ويُدعى الابن «الصورة» و «المجد»، ونحن أيضاً، ولكن ما أعظم الفرق بيننا وبين المسيح. وأيضاً "أنتم للمسيح والمسيح لله" (١كو ٣: ٢٤)، ولكن ليس المعنى واحداً..

إذن النعمة ليست مثل الطبيعة، والتبني ليس مثل البنوة، والجوهر ليس مثل الطبيعة المخلوقة.

٤ـ ولذلك ففي العظة ٧ على ١كو ٢: ٦ – ٧ يذكر ذهبي الفم:

[إن الشيطان لم يقل لآدم وحواء أنتم آلهة، بل بوعد كاذب قال لهما ستصيران كآلهة](تك ٣: ٤)[١].

[إن النعمة تُعطى في الزمان وحسب التدبير وحسب إرادة الثالوث، ولكنها لا تخلق كائناً معادلاً لله. **هذه الاستحالة مرجعها الأول هو أن كل المخلوقات خُلقت من العدم، ولذلك لا تملك وجودها، ولا تستطيع أن تحدد غايتها بدون الله؛ لأن اختيار أي مصير بدون شركة مع الله هو «جهنم» بعينها.** وحرية الاختيار عند كل المخلوقات محدودة بقدرة هذه المخلوقات، فهي لا تستطيع أن تنال بقدراتها ما لم يسمح به الله، ولا تملك أن تنتزع من الله أي شئ لا يريده الله. ولذلك، النعمة محددة بإعلان، وبتعليم، وبالوصايا، وبالعهد، وكل هذا في المسيح، وبالمسيح وحسب عمل الروح القدس.]

---

[١] لا يوجد في كتابات الآباء جميعاً أن سقوط آدم كان مصدره إشتهاء الألوهة بل حسب نص الوحي نفسه كان مصدره الاعتماد على معرفة الخير والشر كمصدر للألوهة (تكوين ٣: ١ – ٧) والألوهة بالمعرفة ليست تعليماً مسيحياً بل تعليماً "غنوصياً" ساد في معظم مدارس التصوف.

رابعاً: شرح القديس كيرلس الكبير لكلمات الرب يسوع في إنجيل يوحنا ١٠: ٣٤ وما بعدها

[لأن الآب دعا علة أشخاص من البشر آلهة، ومن الضروري أن نعرف أن هذا هو اسم شرفي، لأن (الإلوهة) كانت مضافةً إليهم (وزائلة وليست طبيعية)؛ لأن الذي هو إلهٌ بالطبيعة هو واحدٌ فقط. وحتى لا يتوهم أحد أن يسوع ينتمي إلى ذات رتبة البشر الذين دُعوا آلهة، ولبس مجد الإلوهة كما لو كانت ليست له، بل مضافة إليه مثل البشر الذين دُعوا آلهة، أراد الرب أن يبين كيف هو مختلف عن هؤلاء، فقد أراد أن يبين أنه ليس فقيراً مثلهم، بل هو حالٌ فيهم، ولذلك السبب وحده دعا هؤلاء آلهة؛ لأنه هو كلمة الله الآب، ولأن الكلمة كان فيهم كان هذا وحده يكفي لأن تظهر كرامة الإلوهة في هؤلاء الذين هم بشر فقط، فكيف يجوز أن يكون (الكلمة) الحال فيهم إلهاً مثلهم، وليس الله بالطبيعة؟، إذ كيف يمكن أن ينال هؤلاء مجد اللاهوت بدونه، أو بأي وسيلة أخرى؟][1].

هكذا من فم الآب دُعي البشر آلهة كما يقول القديس كيرلس السكندري. وهو لا يتركنا أمام قضية عامة تختص بالأسماء أو اسم الإلوهة، بل يقول:

[الفرق كبير بين الذين دُعوا آلهة، ومن هو إلهٌ بالطبيعة. وهذا تعلنه كلماته (يسوع) التي استخدمها هو نفسه، فهو يعلمنا أن الفرق هو في أن هؤلاء البشر "صارت إليهم كلمة الله"، ولذلك دُعوا آلهة؛ لأنهم عندما قبلوا كلمة الله استناروا بكرامة اللاهوت، ولمّا قبلوا الكلمة Logos في نفوسهم، صار ظاهراً أن الذي سكن فيهم جعلهم آلهة بسبب سكناه. فكيف يمكن أن يكون الكلمة آخراً غير الله بالطبيعة ؟ أليس الكلمة هو الله حسب كلمات الإنجيلي يوحنا وهو الذي "ينير كل إنسان آتٍ إلى العالم" ؟؛ لأن الكلمة بالروح القدس يعطي هذه النعمة الفائقة، ويكرم الذين يسكن فيهم بالكرامة الإلهية...][2].

---

(١) الكتاب السابع – المجلد الثاني – راجع الترجمة الإنجليزية – المجلد الثاني ص ١٠٣: ١٠٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٤.

ما الذي يجب أن نفهمه عندما ندرس الأسفار المقدسة، حسب شرح القديس كيرلس السكندري؟

لقد قرأنا ما يذكره القديس يوحنا ذهبي الفم عن اختلاف معاني الكلمات، ونفس الاتجاه الأبوي الرعائي يظهر في شرح القديس كيرلس الذي يبدأ من نص سفر الأمثال ٢٥: ٢ حسب الترجمة السبعينية:

[تذكَّروا ما يقوله سليمان: إن مجد الرب يجعل اللغة قاصرة؛ لأننا عندما نعرق من شدة العمل والجهد محاولين أن نشرح مجد الرب نشبه من يريد أن يقيس السماء بقصبة (بشبر). ولذلك كل ما يقال عن الله بشكل عام، ويمكن أن يُستخدَم في الكلام عن البشر، يجب أن يُفهم بما يليق بالله، وإلاَّ ماذا ستقولون إذا سمعتم داوود يقول في المزمور: "أيها الجالس على الكاروبيم أظهر ذاتك.. أعلن قوتك وتعال خلِّصنا" (مز ٨٠: ١، ٢ س)؟. كيف يجلس غير الجسداني؟، وعندما يدعو الله أن يأتي لكي يخلصنا وهو رب الكون كله، الذي يقول بالنبي: "ألست أنا الذي أملأ السموات والأرض" (ار ٢٣: ٢٤)، فكيف يجيء لكي يخلصنا وهو مالئ السموات والأرض وكل الأشياء؟، وأيضاً مكتوب أن بعض البشر كانوا يبنون برجاً لكي يرتفعوا به إلى السماء...، وجاء الرب وبلبل ألسنتهم، وقال: "هلم ننزل" (تك ١١: ٥، ٦)، فكيف نزل الرب؟، وبأي وسيلة ينزل الثالوث؟ وكيف، أخبروني، وعد المخلِّص أن يرسل الباراكليت من السماء؟، كيف يُرسَل الذي يملأ كل الأشياء؟ لأنه مكتوب: "روح الرب ملأ المسكونة" (حكمة ١: ٧)؟.

لذلك يجب أن نفهم أن الكلمات التي تستخدم بشكل عام تختلف عندما تشير إلى أمور فائقة إذا استُخدمت في الكلام عن الله. هل تريدون أن تفهموا هذه الأمور الصعبة الفائقة؟ إن عقولنا سوف تدرك أنها عاجزة عن استيعاب هذه الأمور. لا تغضب أيها الإنسان، بل اعترف بضعف طبيعتك، وتذكَّر الذي قال: "لا تفحص الأشياء التي هي فوق قدرتك" (جا ٣: ٢١). عندما توجه عينيك إلى قرص الشمس، فإنك تستدير بعيداً على الفور بسبب قوة النور. تعلَّم ، إذن ، أن الطبيعة الإلهية ساكنةً في نور لا يدنى منه (١تي ٦: ١٦)، لا يدنى منها أي من الذين لديهم الفضول لفحصها][1].

---

[1] المرجع السابق ص ١٠٥ – ١٠٦.

خامساً: شرح القديس أغسطينوس لنص المزمور ٨١ في الترجمة السبعينية / ٨٢ في الترقيم العبراني السائد عندنا

[عنوان المزمور هو: مزمور لآساف... هذا العنوان مقصود بـه أن يُستخدم في الجمع Sunagogue، لأن بداية المزمور: "الله قائم في مجمع الآلهة". وبكل يقين نحن لا نفهم هذه الكلمات على أن الآلهة هي آلهة الأمم أو أوثانهم أو أنها خاصة بأي مخلوقات في السماء أو على الأرض، بل بالبشر؛ لأنه بعد عبارات قليلة في نفس المزمور تعلن الكلمات من هم هؤلاء الذين في الجمع، أي مجمع الآلهة، الذي يقف فيه الله. "هذا هو قضائي: أنتم آلهة وأبناء العلي كلكم، ولكنكم تموتون مثل كل المائتين وتسقطون مثل أي رئيس يحكم" (مز ٨١: ٦، ٧ حسب الترجمة اللاتينية).

هكذا يقوم الله في وسط مجمع أبناء العلي الذين الله نفسه هو إلههم... ونحن نجد في مواضع متفرقة من الأسفار أن بني إسرائيل يُدعَون أبناء الله ليس حسب نعمة العهد الجديد، بل حسب (نعمة) العهد القديم؛ لأنه حسب نعمة العهد القديم اختار الله إبراهيم وخلق منه قوماً كثيرون أي من جسله...][1].

ويعود القديس أوغسطينوس لنفس الموضوع في شرح كلمات المزمور (٩٤: ٦) والمزمور (٦٥: ٩) فيقول:

["الرب إلهٌ عظيم ملكٌ قوي على كل الآلهة". لنفهم، الآن، أن الآلهة هم البشر؛ لأن الرب ليس ملكاً على الشياطين، وهذا التفسير يؤكده كلمات المزمور "الله قائم في مجمع الآلهة"، وهو يدعو البشر آلهة بسبب شركتهم في النعمة، وليس في الطبيعة؛ لأنهم آلهة بالنعمة التي بها أراد أن يؤلههم. كم يكون عظيماً الله عندما يجعلنا آلهة. ومن هم هؤلاء الآلهة من البشر من الرجال والنساء؟. إنه حقاً عظيم لأنه جعلنا آلهة...، الإله الحقيقي يجعل الذين يؤمنون به آلهة لأنه أعطاهم السلطان أن يصيروا أبناء الله (يوحنا ١: ١٢). هو الإله الحقيقي، لأن الله غير مخلوق، ونحن المخلوقون لسنا آلهة حقيقيون][2].

ويجب أن نفهم كلمات القديس أغسطينوس، باعتبار أن له مدخل خاص في موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية، وهو ما يجعله يضع النعمة في مقابل الطبيعة، وله كتاب خاص عن

---

[1] الجلد الرابع من الترجمة الكاملة لعظات القديس أغسطينوس على سفر المزامير (مزمور ٧٣: ٩٨) وهو الجلد ١٨ من الترجمة الحديثة لكتابات القديس أغسطينوس. حقق النص ونشره:

Maria Boulding, Expositions of the Psalms, 199,pp 172 – 173.

[2] المرجع السابق ص ٤١٤ – ٤١٥.

الطبيعة والنعمة. ومع أنـه يؤكـد أن لقـب الإلوهـة خـاص بـالمؤمنين، إلاَّ أن، عـدم تطـور اللغـة اللاتينية اللاهوتية، هو الذي يجعله يكتـب العبـارات السـابقة مؤكـداً النعمـة، حَـذِراً جـداً مـن الطبيعة، رغم أن الشركة في الطبيعة هي تعبير العهد الجديد، ولم يرد تعبير الشـركة في النعمـة في العهد الجديد إلاَّ ضمناً. أمَّا الشركة في الطبيعة الإلهية فهي عبارة صريحة قاطعة في ٢بطرس ١: ٣.

سادساً: القديس باسيليوس، والقديس غريغوريوس النزينزي

لقد أوصانا الرب أن نكون آلهة: أنا قلت أنكم آلهة θεοζ εστε وقد أكَّد الرب يسوع ذلك في كلماته التي دُوِّنت في إنجيل يوحنا ١٠: ٣٤، ولذلك يقول القديس باسيليوس: [أنا مخلوقٌ أخذ وصيةً لأن يكون إلهاً].

وهذه هي كلمات القديس باسيليوس كما دوَّنها لنا القديس غيرغوريـوس النزينـزي في المقالـة اللاهوتيـة ٤٣: ٤٨، وفي الفصـل ٩: ٢٣، مـن كتـاب الـروح القـدس للقـديس باسيليوس.

يقول القديس باسيليوس:

[إن الروح القدس الذي يسكن في الـنفس الإنسـانية، وهـي بالطبيعـة غـير مادية، لا يمكن أن يكون مخلوقاً له طبيعة مادية، بل طبيعة روحانية إلهيـة]، ثـم يضيف: [إنه من الروح القدس ننال معرفة الأمور المستقبلة، وفهـم الأسـرار، وإدراك ما هو خفي، توزيع المواهب الصالحة، والمواطنة السـماوية، ومكانـاً في خورس الملائكة، فرحٌ لا ينتهي، سُكنى في الله (حلول في الله)، وأن نصبح آلهة، وهو أعظم من الكل بالتشبه بالله. هذا بعض ما يمكن أن يقـال مـن الكـثير عن الروح القدس].

ويقول القديس أغسطينوس: [إن الله يريد أن يجعلنا آلهة] (العظة ٦٦: ٤).
والهدف كما يعلنه القديس غريغوريوس النزينزي هو: [أنه اتَّحد بالآلهة لكي يصبح معروفاً لهم Θειοζ ενουμενοζ τε και γνωριξομενοζ] (المقالـة اللاهوتية ٤٥: ٣).

هذه هي أحد جوانب أو أساسـات الخـلاص في المسـيح، وهـي جـذور البقـاء والحيـاة الأبدية، وكما يقول القديس أثناسيوس: [فقد صار الابـن الكلمة الله اللابـس الجسـد، لكي نصبح نحن البشر لابسين الروح][1].

---

[1] القديس أثناسيوس: التجسد وضد الأريوسيين فقرة ٨ مجد ٢٦: ٩٩٦ – راجـع ترجمـة اللاهـوتي الأرثوذكسـي: V. Lossky: The Mystical Theology of the Eastern Church, 1957, p179 - 180.

وهكذا يلمس القديس أثناسيوس، بدقة تامة، الممارسة الكنسية التي تبدأ في المعمودية، وتُعلن بشكل قاطع واضح في رشومات الميرون، وتتجلى في صلوات القدّاسات الأرثوذكسية، لاسيما قدّاسات كنيستنا القبطية؛ لأننا لا نأخذ جسداً ودماً لإنسان مثلنا – كما حذّرنا القديس كيرلس السكندري – بل جسد ودم الكلمة، الذي يُعلن في صرامة وثبات قبطي: «أعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي...»، والمحيي هي عبارة تؤكد اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأن الناسوت أخذ قوة الحياة من اللاهوت.

والخبز السمائي النازل من فوق من عند الآب ، حسب كلمات الرب التي دُوّنت في الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا ، ليس تمثيليةً هزليةً، بل جسد الرب نفسه، الإله الحق والمتجسِّد.

وهنا نكتفي بعبارة القديس كيرلس الأورشليمي: [عندما يصبح جسد المسيح هو نسيج أعضاء (جسدنا)، نصبح حاملين المسيح وشركاء الطبيعة الإلهية كما قال المبارك بطرس][1]. وهو ما تنقله الليتورجية القبطية في رقةٍ شديدةٍ وورعٍ «لنضيء بشكلك المحيي»، أو حسب عبارة أخرى في قداس مارمرقس «شركاء في الشكل وفي خلافة مسيحك»، أو برجاء حي لا يمكن أن تكسره الخطية «طهِّر إنساننا الداخلي كطهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمر أن نأخذه».

وقبل ذلك في صلاة القسمة «أعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح، التي هي الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك»؛ لأننا قد نلنا ختم أو رسم البنوة بيسوع المسيح ربنا – ليس عنوةً ولا اغتصاباً، بل – «كمسرة إرادتك (الآب) كرامة لمجد نعمتك، التي أنعمت بها لنا بحبيبك»[2].

وقد يبدو هذا عظيماً، وغير مقبول تحت وطأة تأثير الشعور بالخطية والنقص والإثم، بل ويفوق الاحتمال... نعم؛ لأن هذا هو الإنجيل المقدس، وهذه هي بشارة الحياة. ولذلك، فبعد استدعاء الروح القدس تقول الطلبة:

«تجديداً للنفس والجسد والروح،

مجداً لاسمك القدوس،

مشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد».

وليس هذا اعتداءً على كرامة الثالوث، أو انتزاعٌ لما هو مستحيل، بل كما تقول نفس الصلاة بعد ذلك مباشرة: «لكي بهذا يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القدوس في

---

(١) عظات الموعوظين ٤: ٣.

(٢) العبارات كلها من صلاة القسمة لقداس القديس كيرلس السكندري الذي نظم قداس مارمرقس.

كل شيء كريم ومبارك مع يسوع ابنك الحبيب والروح القدس»؛ لأن الحياة التي سوف تُعطى لنا، هي تمجيدٌ للثالوث.

وقد شعر الآباء، الذين عاشوا تحت سلطان ونور الروح القدس، بما سوف تأتي به الخطية من شعور بالنقص وتراجُع عن رجاء الحياة الأبدية في يسوع المسيح، فوضعوا الصلوات بعد القسمة وبعد الصلاة الربانية، لكي تؤكد عمل الله الفائق رغم خطايا الذين سوف يأخذون الجسد الإلهي والدم الكريم. ولعل أروع صلوات شرقية، على وجه الإطلاق، هي التي تضع حياة ربنا يسوع المسيح كقوة فعالة في مواجهة كل الخطايا البشعة؛ لأن المسيح هو الطبيب والدواء معاً، هو النور الذي يشرق في ظلمة حياتنا.

الزنا وكل فكر نجس	من أجل الله الذي من العذراء
الافتخار والشر الأول	من أجل الذي اتضع وحده
الخوف (فقدان الشجاعة)	من أجل الذي تألم بالجسد عنا وأقام غلبة الصليب
المجد الباطل	من أجل الذي لُطم وجُلد من أجلنا
الحسد والقتل والانقسام والبغضة	من أجل حمل الله حامل خطية العالم (وهذه خطايا بشعة جداً)

إن ما نطلبه من كل قارئ، ونحن نفتش عن الأصول الآبائية الأرثوذكسية للتعليم الرسولي في كتابات الآباء، أن يعود القارئ إلى كتب صلوات الكنيسة: الأجبية – الخولاجي – المعمودية – السجدة – تكريس الكنائس – الرسامات – الزيجة – مسحة المرضى – الدفنار – التسبحة السنوية. وأن يكتشف كل قارئ كيف يقدم لنا الرب يسوع حياته وماذا يعطي لنا، وما هي حقيقة علاقتنا بالثالوث في يسوع المسيح ؟!.

إن ما دوّن في هذه الكتب يشمل الإيمان المسلَّم لنا من الرب، والرسل، والآباء، ومن الأسفار المقدسة، وهو ينقل لنا الإعلان الإلهي الذي يُعطي لنا ثقة لأن نقف ونصلي، على أساس الشركة، التي تجعلنا نخاطب الله حسب مواعيده المعلنة في المسيح يسوع.



الفصل الرابع

الشركة في الطبيعة الإلهية والديانات الوثنية حسب شرح القديس أثناسيوس الرسولي

لا يجب أن ننسى أن الآباء عاشوا في بيئة وثنية. وفي زمان القديس أثناسيوس بالـذات، كانت الوثنية المصرية حية وقوية، والدليل على ذلك كتابه «ضد الـوثنيين، أو رسـالة إلى الوثنيين». لقد كانت الآلهة المصرية القديمة تُعبد في كل مكان في مصـر[1] فيقـول: «لقـد خلطوا العاقل بغير العاقل، ومزجوا معاً الأشياء التي تختلف طبائعها وبعد ذلك عبـدوهم كإله. وحتى آلهة المصريين التي هي إما رؤوس كلاب وثعابين وحمير أو إله الليبيين الكبش المسمى باسم (آمون)...» (ف ٩: ٢٠ – ٢٥ ص ٢٤ ، ٢٥).

ولا يجب أن يظن أحد أنه يتكلم عن التاريخ القديم؛ لأنـه يقـول: «والآن الإمبراطـور الروماني هادريان الذي عشق أنطونيوس، ورغم أن الكل يعرف أنه إنسـان، بـل ولـيس إنساناً فاضلاً، بل رجل مملوء بكل شهوة، إلاّ أنه وعلى الرغم مـن ذلـك، عبـدوه بسـبب خوفهم من الإمبراطور. لأنه عندما جاء هادريان إلى مصر مات خادم لذته (شهوته الجنسية) ولكنه أمر بأن تُقدَّم له العبادة؛ لأنه أحب هذا الشاب حتى بعد موتـه...» (ف ٩: ٣٩ – ٤٦ ص ٢٤: ٢٧).

لقد ملك هادريان من ١١٧ – ١٣٨ م (راجع دفاع يوستينوس الشهيد الأول فقـرة ٦٨ – تـاريخ الكنيسـة ليوسابيوس القيصري ٤: ٩).

وبعد ذلك، هل كان الآباء يجهلون تعدد الآلهة وأصل العبادة الوثنية؟.

---

[1] اعتمـدنا على الـنص اليونـاني والترجمة الإنجليزيـة الـتي نشـرتها جامعـة أكسـفورد في سلسـلة Oxford Early Christian Texts, Athanasius, Contra Gentes and De Incarnation, ed and trans. R.W. Thomson, 1971.

وحتى نضع صورة كاملة أمام القارئ، ومن واقع نصوص القديس أثناسيوس نفسه الذي سجَّل «تأليه» البشر وعناصر الطبيعة السائد في أيامه، إذ يورد في كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس، على لسان الأنبا أنطونيوس الكبير نفسه، في الفقرة ٦٧، خرافات وأساطير الوثنية، التي حاول المثقفون في أيام القديس أنطونيوس إضافة المعنى الرمزي لها، حتى يتجنبوا العنف وهتك العِرض والقتل والخطف الشائع في الإلياذة والأوديسا. فيقول الأنبا أنطونيوس: [أنه على الرغم من محاولة تجنب هذه الأساطير إلاّ أن النتيجة النهائية هي ؛أنكم تعبدون المخلوق وليس الله خالق كل هذه المخلوقات. وإذا كانت الخليقة جميلة (جيدة)، فلماذا وضعتم هذه الأساطير؟ لأنه كان يليق بكم أن تقفوا عند حد الإعجاب بالخليقة، ولا تُؤلِّهوا المخلوقات...] (حياة الأنبا أنطونيوس، النص اليوناني مجلد ٢٦: ٩٤٩ – راجع الترجمة الإنجليزية التي نُشرت عدة مرات لعدة ناشرين).

تأليه البشر، بل والخطاة في الرسالة إلى الوثنيين

لا يجب أن ننسى أن عبارة الوصية المقدسة، "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خر ٢٠: ٣)، كانت من العبارات الشائعة في القرون الخمسة الأولى، ولم ينسها الآباء الكبار الذين كتبوا عن الشركة في الطبيعة الإلهية. وهذه هي بعض فقرات معلمنا الكبير القديس أثناسيوس الرسولي:

> [ومن ضمن الذين ألهوهم الذين ارتكبوا خطية الزنى، بل ألَّهوا أطفالهم الذين ولدوا من الزنا، واخترعوا أُكذوبة التأليه Θεοποιησας لتغطية جريمة الزنا التي ارتكبها ديونيسيوس، وهيراكلاس...] (ف ١٢: ٤ ص ٣٢: ٣٥).

وفي نفس الفصل يذكر تفاصيل أخرى عن زنا الآلهة الوثنية (راجع سطر ٢٤ ، ٢٥ ص ٣٤)، ثم يعود ويقول بعد ذلك في نفس الفصل:

> [الذين يكرهون الزناة الذين يغتصَبون ويعتدون على زوجاتهم، تجدهم مع ذلك يؤلهون الذين يحضُّون على الزنا، ومع أنهم لا يقبلون أن يعاشروا أخواتهم (الإناث) إلاَّ أنهم مع ذلك يعبدون الذين يرتكبون (هذه الخطية)] (المرجع السابق سطر ٣٥ ، ٣٦ ص ٣٤ ، ٣٧).

ويظهر انحطاط الوثنية ، كما يذكر القديس أثناسيوس

> [الذين يعبدون الأحجار والأخشاب التي يدعونها آلهة، بينما هي قطع من المادة، لا تختلف مادتها عن تلك التي يمشون عليها أو يشعلون النار فيها] (راجع فصل ١٣ ص ٣٦ ، ٣٧)، [،بل وحتى الفنان نفسه يبدو كمن ينسى أنه هو الذي صنع هذه (التماثيل) التي يصلي لها وإنها عمل يديه] (فصل ١٣ ص ٣٦ ،٣٧).

وفي هذا الفصل بالذات، تظهر دقة القديس أثناسيوس في تقديم الإيمان بكلمات محددة: [لم تكن المادة هي التي جعلت الفن يُعبَد ويؤلَّه، وإنما الفن هو الذي جعل المادة (تُعبَد وتؤلَّه)] (سطر ١٦ ص ٣٦ ، ٣٧).

فالنقطة الأساسية هي اختراع وخلق الآلهة. ولعل أبلغ تعبير عند القديس أثناسيوس عن فساد الآلهة وكل أشكال الإلوهة هي في عبارة موجزة تقول: [إن البشر أحياء وعاقلين بالطبيعة، إلاَّ أنهم مع ذلك آلهة لتلك التي لا تتحرك وبلا حياة] (ف ١٣ ص ٣٨ ، ٣٩)، لأن هذا يعني أن الإنسان الذي يعبد الأوثان هو أعظم من الأوثان لأنه حي وعاقل. وعندما استطاعت الوثنية أن تخصص لكل إله وآلهة عملاً خاصاً يتولاه كل واحد منهم، مثل الصيد للإله أرطاميس، والغزل للإلهة هيرا، والزراعة لديمتريوس، إلا أن أثناسيوس يقول وبكل ما يمكن أن يرفع من قيمة الإنسان إن هذه التخصصات [هي عامة عند كل البشر] (ف ١٨ ص ٥٠ ، ٥١)، ويصل النقد إلى قوته في عبارة تحتاج إلى تأمل: [إذا كانت التقنية هي التي تؤلِّه حينما تصاغ الآلهة من الذهب، فإن الذين يخترعونها وبسبب فنهم، وحسب مقياس إدراكهم يجب أن يصبحوا هم أيضاً آلهة] (سطر ٣٣ – ٣٥ ص ٥٠ ، الترجمة الإنجليزية ص ٥١).

وعندما يدافع القدماء عن التماثيل والمنحوتات بأنها صور، يسأل المعلم الكبير: [من أجل الحق نفسه، كيف يعلن الله نفسه من خلال هذه التماثيل والمنحوتات المصنوعة؟ إذا كانت المنحوتات هي التي تعلن الله، فلماذا يحتاجون لها، ولماذا لم يعلن الله عن نفسه قبل نحت هذه التماثيل؟] (ف ٢٠ ص ٥٤ ، ٥٥). ويعود إلى نفس الفكرة السابقة، [إذا كان الفن يعلن الله، ولذلك يعبد البشر التماثيل كآلهة، فإن البشر وسادة الفن يجب أن يُعبدوا بدورهم كآلهة] (ف ٢٠ ص ٥٦ ، ٥٧).

والنقطة الجديرة بالاعتبار هي أن الإنسان كخالق وكفنان هو أكبر مما خلق، ومع ذلك فالقديس أثناسيوس لا يدعو إلى عبادة هؤلاء؛ لأن الاعتراف ببراعة وقدرة الفنانين تجعلهم أعظم من التماثيل. وانحطاط الإنسان هو في عبادته صنعة يديه، هذا يحقر الإنسان. ويسخر القديس أثناسيوس من الإله أنوبيس Anubis أحد آلهة الفراعنة، ليس فقط لأن رأسه هي رأس كلب (ف ٢٢ ص ٥٨ ، ٥٩)، بل لأن الآلهة تحتاج إلى من يرعاها ويهتم بها. ويظهر تناقض الوثنية مع نفسها في أن ما يعبده قوم ويؤلهونه، يقدم كذبيحة أو قربان أو سكائب لإله آخر بواسطة قوم آخرون. والمثال الذي يقدمه أثناسيوس خاص بمصر، لأن المصريين يعبدون العجل أبيس، وهو يقدم ذبيحة للإله زيوس Zeus في أماكن أخرى (فصل ٢٤، ص ٦٥). وعبادة الشمس والقمر باطلة لأن هذه مثل غيرها من المخلوقات لا تملك قوة ذاتية تعطي الحياة، بل لم تَخلق، بل خُلِقَت (فصل ٢٧ كله). ولذلك يجد القديس أثناسيوس أن حكمة الفلاسفة عقيمة وباطلة، لأنهم عندما يشجعون البشر على قبول الأساطير وعبادة وتأليه الخليقة، κτισιν προσκον ουσι και θεοποιουσι (فصل ٢٧، سطر ٢٠، ص ٧٢ ، ٧٣)، فإن

الخليقة تصرخ منادية بالعودة إلى خالق الكل؛ لأن هذه المصنوعات ليست آلهة. وثمة نقطة هامة، وهي أن نقد الوثنية يجب أن يعتمد على تحديد طبيعة الله περι θεου ορου (فصل ٩، سطر ٨ ص ٧٨ ، ٧٩)، فالله لا يُرى بالعين ولا يُلمس باليد، لأن كل ما يُرى من المخلوقات تُلمس وتُرى ولذلك فهي محدودة.

نهي الكتاب المقدس عن العبادة الوثنية في كتاب الرسالة إلى الوثنيين

يجب أن نلاحظ أولاً، أن الذين سلَّموا لنا أسفار العهد القديم، ونطقوا بالوحي بالروح القدس، هؤلاء عند الآباء هم «اللاهوتيون» من البشر οι θεολογοι (فصل ٤٦، سطر ١١، ص ١٢٦ ، ١٢٧). ومن أقوال هؤلاء اللاهوتيين يقدم أثناسيوس الرسولي نص الوصية "لا تصنع لك تمثالاً.." (خر ٢٠: ٤)، ثم كلمات لاهوتي آخر، وهو قول المزمور "أصنام الأمم فضة وذهب، صنع أيدي البشر، ليس لها أفواه ولا تتكلم" (مز ١١٣: ١٢ – ١٥)، وهو أهم آيات العهد القديم، بالذات التي استُخدمت بوفرة في كتابات الآباء لدحض الوثنية (راجع أيضاً كلمات سفر التثنية ٤: ١٩ نفس الفصل ٥٣)، ثم يتوقف القديس أثناسيوس عند الوصية (خر ٢٠: ٣)، ليقول لكل قارئ عبر كل العصور: [تقدم الأسفار تحذيراً عاماً لكل البشر، وتنهي عن بطلان الوثنية والخيال الجامح غير المعقول بهذه الكلمات: لا يكن لك آلهة أخرى سواي (سبعينية ٢٠: ٣). وهذا لا يعني أنه توجد آلهة تحذرنا الأسفار المقدسة منها، ومن أن يعبدها البشر، ولكن حتى لا يضل أحد عن الإله الحقيقي، ويؤلّه لنفسه ما لا وجود له أي الآلهة المزيفة، والتي أشار إليها الأنبياء والمؤرخين بكتابة الكلمات: لا يكن لك آلهة أخرى، لتأكيد الحقيقة بأن هذه ليست آلهة، وهذا ظاهر باستخدام صيغة المستقبل، لأن ما هو خاص بالمستقبل ليس له وجود عندما قيلت هذه الكلمات] (فصل ٤٥، ص ١٢٦ ، ١٢٧).

الخلاصة

لعل القارئ قد سأل ذات السؤال الذي يتردد في عقل كل قارئ: إذا كانت الأسفار تنهي عن عبادة الأوثان، وتعتبر تأليه المادة وعناصر الطبيعة انحطاط، لأن العبادة يجب أن تقدم لخالق واحد...، فهل يجوز لنا بعد كل هذا أن نتكلم عن تأليه البشر؟ وهل استخدم القديس أثناسيوس الفعل، يؤله، للبشر؟ والجواب هو، إن ذات المؤلف أو الكاتب الذي سخر من الوثنية وقاومها بكل عنف وإصرار، هو نفسه الذي يقول في خاتمة كتاب تجسُّد الكلمة، وهو الكتاب الذي يكمل كتاب الرسالة إلى الوثنيين:

«لأنه تأنَّس لكي يؤلهنا»

" αυτος γαρ ενηνθρωπησεν ινα ημετς θεοποιηθωμεν (تجسُّد الكلمة فصل ٥٤، سطر ١١ ، ١٢ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩).

وبعد ...

هل كان القديس أثناسيوس يجهل إن مصر في أيامه كانت لا تزال تعبد إيزيس وغيرها من الآلهة؟ فما الذي جعله يكتب بغزارة ودقة عن الشركة في الطبيعة الإلهية، وهو يعلم علم اليقين إن تأليه البشر مثل أنطونيوس عشيق الإمبراطور هادريان، وتأليه الكواكب والحيوانات هو ممارسة عامة....، بالطبع هناك فرق كبير سوف نراه في الفصل القادم، ولكن يكفي هنا أن نلاحظ أن الفنان والصائغ الذي يخلق الآلهة هو أعظم منها وأكبر لأنه:

«حي»

«عاقل»

ولأن الحياة والعقل هما من الله، وهما من مكونات صورة الله، تلك الهبة السماوية، والنعمة الثانية التي أُعطيت للخليقة، أي الإنسان، تعذَّر على هذا المعلم أن يخاف من المجاهرة بالتعليم بأن الإنسان صورة الله، ولا يمكن أن يبقى كصورة لله بدون أن يشترك في الطبيعة الإلهية، التي تأخذ منها كل العطايا التي تحفظ إنسانيته.

ورغم أهمية التعليم المسيحي عن الإنسان "صورة الله ومثاله" (تك ١: ٢٦)، إلاَّ أننا سوف نناقش موضوع الشركة في الطبيعة الإلهية من زاوية واحدة فقط، وهي موضوع الشركة وتأله الإنسان في المسيح. ورغم أن العلاقة بين الصورة والأصل وهو الله، هو أساس كل تعليم صحيح عن الشركة في الطبيعة الإلهية، لأن الصورة تفقد معناها وغايتها بدون الشركة في طبيعة الأصل واهب الصورة، إلاَّ أننا، وحتى لا ينشغل القارئ بأي موضوع آخر رغم أهميته القصوى، سوف نؤجل الكلام عن مكانة الإنسان عند الله[١].

موجز التعليم المسيحي عن الإنسان صورة الله ومثاله

لعل القارئ الفطن أدرك من قراءة كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي، أن موضوع الإنسان كصورة الله ومثاله هو العمود الفقري، والأساس الذي بنى عليه المعلم السكندري باقي الشرح الأرثوذكسي للخلاص، ودور الصليب والقيامة في رد الإنسان إلى مكانته الأولى، أو حسب تعبير صلواتنا: «ورد آدم وبنيه إلى الفردوس» (صلاة قسمة القيامة).

---

(١) نكتفي بأن نحيل القارئ إلى الدراسة التي أصدرها عام ١٩٨١ الأب متى المسكين، وهي المرجع العربي الوحيد وأول عمل علمي، وتاريخي، ولاهوتي عن القديس أثناسيوس.

الصورة الإلهية فينا ليست صورتنا نحن، بل هي صورة الله

[وضمن هذه المخلوقات التي على الأرض التي تعطّف ελεησας الله عليها، الجنس البشري؛ لأنه رأى أنه حسب حدود وجودها لا تقدر أن تبقى إلى الأبد، فوهب لها (أي الطبيعة الإنسانية) **نعمةً أخرى** (مضافة) لأنه لم يكتفِ بأن يخلق البشر مثلما خلق باقي الكائنات الحية الأخرى التي على الأرض، بل خلقهم على صورته، وأعطاهم نصيباً في قوة كلمته (اللوغوس) فصاروا عاقلين مثل ظل الكلمة (اللوغوس)، وهو ما جعلهم عاقلين قادرين على الحياة السعيدة الحقيقية في الفردوس] (تجسُّد الكلمة فصل ٣، ص١٤٠ ، ١٤١).

ولعل القارئ الذي يملك حساً روحياً قد أدرك أن القديس أثناسيوس يؤكد لنا:

* **عطف الله ورحمته.**
* شركة الإنسان في قوة الابن الكلمة.
* أن يتبع الإنسان اللوغوس أو الابن مثل تبعية الظل للنور.
* إن بقاء الإنسان في الحياة السعيدة الحقيقية العاقلة هي البقاء في الشركة.

البقاء في الصورة الإلهية هو الحد الفاصل بين الحياة والموت

يقول القديس أثناسيوس:

[وبالإضافة (إلى ما ذُكِر) ولأن (الله) يعلم أن (قوة) الإرادة الحرة يمكن أن تميل إلى جهتين (الخير والشر)، حفظ (الله) أولاً النعمة التي أعطاهم إياها بالوصية التي قررها، وبالمكان الذي حدده؛ لأنه أتى بهم إلى فردوسه وأعطاهم هذه الشريعة حتى إذا حفظوا النعمة وظلوا صالحين، سَعِدوا بالحياة في الفردوس دون حزنٍ أو ألمٍ أو قلق، وبالإضافة إلى ذلك نالوا الوعد بالخلود في السماء] (الفصل ٣ المرجع السابق).

وهنا يضع القديس أثناسيوس أساس التعليم المسيحي عن الخلاص، والنعمة، والشريعة أو الوصية:

* الشريعة تدعم النعمة؛ لأن النعمة سبقت الشريعة.
* حفظ النعمة يحدده حفظ الوصية.

خلق الإنسان من العدم هو أساس عطية الصورة

عندما ذكر القديس أثناسيوس المذاهب والمدارس الفلسفية الخاصة بالخلق وأصل العالم، فقد مهَّد للقارئ في الفصول الأربعة الأولى[1] من تجسُّد الكلمة أن يأتي إلى التعليم الصحيح. الخلق من العدم هو أساس كل شيء يمكن أن يقال عن المسيحية. والخلق من العدم هو الذي يشرح لنا لماذا وُهبنا صورة الله، لأن الطبيعة الإنسانية محدودة، وحدُّها الأول الحياة حسب الله، وحدُّها الثاني الموت إذا تركت الشركة [أمَّا إذا تعدوا وارتدوا (عن الوصية) وصاروا أشراراً، فأنهم سيعلمون أنهم سوف يعانون الفساد الطبيعي (وهو) نتيجة الموت، ولن يحيوا في الفردوس بل سيموتون خارج الفردوس وأن يبقوا في الموت والفساد] (ف ٣: ص ١٤٠ – ١٤٣).

[لأن تعدي الوصية أعادهم إلى ما هو طبيعي، وتبعاً لذلك، كما أنهم جاءوا من العدم، فأنهم سوف يعانون الفساد ثمرة (الطبيعة التي خُلِقَت من) العدم] (ف ٤: ص ١٤٢، ١٤٣).

ما هو طبيعي، هو الأصل الذي جاء منه الإنسان وهو العدم، وهو ما يجعل طبيعة الإنسان ضعيفة بقدراتها، قوية بالشركة؛ لأن قوى الإنسان تزداد بالشركة وتصل إلى غايتها، وهو ما يجعل القديس أثناسيوس يقول: [ولأن لهم طبيعة لا تقدر على البقاء؛ لأنهم دُعُوا إلى الوجود بظهور ومحبة البشر التي للكلمة παρουσια και φιλανθρωπια وتبعاً لذلك، إذا فقد البشر معرفتهم بالله، تحولوا إلى ما لا وجود له؛ لأن الشر لا وجود له (ليس له طبيعة أو كيان خلقه الخالق) أمَّا ما هو خير فهو كائن؛ لأنه خُلِقَ بالله الكائن (يستمد بقاؤه من الله)] (ف ٤ ص ١٤٤، ١٤٥).

والنتيجة التي وصل إليها الإنسان بالتعدِّي هي كما يقول المعلم الكبير «أنهم سيفقدون البقاء إلى الأبد» (المرجع السابق – السطر التالي للفقرة السابقة).

ولعل أخطر ما يمكن أن يقال ضد الثقافة السائدة اليوم هو إن [الإنسان حسب الطبيعة مائت لأنه خُلِقَ من العدم εστι μεν γαρ κατα φυσιν ανθρωπος θνητος ατε δη εξουκ οντω γεγονως ولكن بسبب مثاله (الصورة) لمن هو كائن، وإذا حَفِظَ الهذيذ (التأمل – معرفة الله) كان قادراً على أن يفل حد الفساد (يكسر قوة الطبيعة) الطبيعي، وأن يبقى في عدم فساد كما يقول سفر الحكمة (حفظ الشريعة هو ضمان عدم الفساد ،حكمة ٦: ١٨)، أمَّا إذا ظل في عدم فساد فسوف يحيا مثل الله (حسب الله ωs θεos)، كما يقول الكتاب الإلهي في موضع معين (أنا قلت أنكم آلهة وكلكم أبناء العلي ولكنكم مثل البشر تموتون وتسقطون مثل الرؤساء ،مز ٨١: ٦، ٧)] (نهاية الفصل الرابع ١٤٤، ١٤٥).

---

[1] راجع بداية الفصل الرابع حيث يؤكد القديس أثناسيوس إن سبب تجسُّد الكلمة يستدعي بداية الجنس البشري؛ لأن هذه البداية هي التي تستدعي سبب ظهور المخلص. ولاحظ العبارة الواضحة "لأن تعدينا هو الذي استدعى رحمة الكلمة حتى أن الرب جاء إلينا وظهر بين البشر" (٤: ص ١٤٢ – ١٤٣).

ولعلك تلاحظ أيها القارئ الفطن إن نص مزمور ٨١: ٦ ، ٧ ورد على لسان الرب يسوع المسيح نفسه في (يوحنا ١٠: ٣٤)، وهو هنا في شرح الإيمان، ويكتبه رجل عاش في بيئة وثنية، ولكن ما أعظم الفرق بين الوثنية والإنجيل؛ لأن الأولى لا تعلّم بأن الإنسان صورة الله، بل جعلت المنظورات هي صورة الله المصنوعة بيد الإنسان. أمَّا الإنجيل فهو يؤكد أن الإنسان صورة الله المخلوق لكي يحيا حياةً حسب الله.

فأساس الشركة هو الصورة. وأساس التأليه هو النعمة، وحفظ الوصية، وعدم التعدي...، وهذا ضد الوثنية على خط مستقيم....، ولم تكن نهاية الفصل الرابع عبارة شاردة عند القديس أثناسيوس، بل هو يقول بعد ذلك مباشرةً في الفصل الخامس: [لأن الله لم يخلقنا فقط من العدم، بل أنعم علينا بنعمة الكلمة، أن نحيا حياةً إلهيةً αλλα και το κατα θεον ζην ημιν εχαρισατο τη του Λογου Χαριτι] (ف ٥ سطر ٢، ص ١٤٤ ، ١٤٥).

هذه الحياة الإلهية، هي صورة الله، وهي تبقى فينا ولنا بالشركة حسب كلمات أثناسيوس نفسه: [لأنهم – كما قلت سابقاً – فاسدون بالطبيعة (غير قادرين على البقاء إلى الأبد) ولكن بنعمة الشركة في الكلمة كانوا قادرين على التغلُّب على ضعف (حدود) طبيعتهم، إذا ظلوا صالحين، ولأن الكلمة كان فيهم، فإن الفساد الطبيعي (ضعف الطبيعة) لا يقدر أن يمسهم كما يقول كتاب الحكمة: خلق الله الإنسان في عدم فساد، وجعله على صورة ذاته الأبدية، ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم[1]] (حك ٢: ٢٣ – ٢٤) (فصل ٥).

الموت هو سرعة الانحلال أو سرعة فساد الطبيعة الإنسانية

يقول القديس أثناسيوس إن التعدّي، أي ترك الشركة، إهمال الصورة الإلهية، ترك النعمة الذي يقود إلى كسر الوصية، وكسر الوصية يقود إلى الموت، وسيادة الموت هي أحد جوانب مأساة الإنسان: [وساد الفساد عليهم(أي على الجنس البشري)] (ف ٥، ص ١٤٤ ، ١٤٥).

هذه السيادة لم تكن سيادة طبيعية، بل كما يحددها أثناسيوس نفسه: [وساد على الجنس البشري كله، لأن (الفساد) تحصَّن في تهديد الله في حالة تعدِّي الوصية] (المرجع السابق).

وبعد ذلك بقليل، أي في بداية الفصل الخامس، يقول أثناسيوس: [إن الموت صار له κρατησντος]، والكلمة تعني قبضة أو مُلك أو امتلاك، أو حسب كلمات التقوى في القداس الباسيلي: «هذا الذي كنّا ممسكين به مباعين من قبل خطايانا» (ف ٦، س ١، ص ١٤٦ ، ١٤٧).

---

[1] ليس من قبيل المصادفة أن تظهر هذه الكلمات بعينها في صلاة الصلح – القداس الباسيلي. وبقية نص سفر الحكمة "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم فيذوقه الذين هم من حزبه، أمَّا نفوس الصديقين فهي بيد الله..." راجع الترجمة اليسوعية للعهد القديم.

ووقـف الفسـاد، مثـل مـانعٍ أو حـاجزٍ لا يمكـن عبـوره، حسـب معنـى الكلمـة παραμενουσης ، (ف٦، س٢، المرجع السابق).

«صار البشر سجناء فسادهم الطبيعي، لأنهم منعوا من نعمة الحياة حسب الصـورة أو البقاء حسب نعمة الصورة» (ف ٧، ص ١٥٠ ، ١٥١).

الخلاصة

كما ذكرنا سابقاً، نحتاج إلى أن نبحث بدقة عن مكونات الصورة الإلهية، ولكن نكتفـي هنا بالمبادئ الأساسية، التي تشرح لنا أساس الشركة في الطبيعة الإلهية:

١- لكي يحيا الإنسان حسب صورة الله، احتاج إلى أن يشترك في قـوة الكلمة العاقلـة، وأن يتبع الكلمة مثل تبعية الظل للنور. ولم تكن هذه علاقة أدبيـة خارجيـة، بـل علاقـة كيانية؛ لأن عبارات القديس أثناسيوس واضحة: [لأن الكلمة حلّ أو سكن فيهم فحتـى الفساد الطبيعي، (أي ضعف وانحلال القـوى الإنسـانية) لم يقـترب مـنهم ولا يقـدر أن يمسهم].

٢- ونعمة الصورة تعني حياةً إلهيةً، وهنا يجب أن يكون واضحاً أمام كل مسيحي، وأمام كل قارئ إن عبارةالقـديس أثناسـيوس «حيـاة إلهيـة» أو «حيـاة حسـب الله» أو «حيـاة منسجمة مع الله» كلها تؤكد الشركة الكاملة في الحياة الإلهية، وهذا هو ما جعل القـديس أثناسيوس يضع نص مز (٨١: ١ ، ٢)، حسب نص الترجمة السـبعينية، حـين يقـول الله: "أنـا قلت أنكم آلهة"، ولذلك لم يكن غريباً بعد ذلك أن يكتب أثناسـيوس في الجـزء المكمـل للرسالة إلى الوثنيين «لقد تأنس لكي يؤلهنا (نحن)»، لأننا لم نُخلق لكـي نجهـل الله، ولا لكي تصبح معرفتنا بالله معرفة عقلية وليدة الخيـال، ولـذلك يقـول القـديس أثناسـيوس [خُلق الجنس البشري حسب صورته، أي بواسطة صورته الكلمة الذاتي مخلصـنا يسـوع المسيح، وجعل الإنسان قادراً على استيعاب أو رؤية حقيقة (كيانه) بالمشابهة(التي وهبـت له بواسطة) الكلمة، وأعطاه أيضاً معرفة أبديته (حدد له معرفة أبديتـه) حتـى إذا حفـظ المشابهة (بالكلمة) لا يبتعد قط عن رؤيته لله... بل ثابتاً في النعمة التي وهبت له، وأيضاً بواسطة القوة الذاتية التي أعطيت له بواسطة كلمة (لوغوس) الله، أن يفـرح بالحـديث مع الله وأن يحيا الحياة السعيدة المباركة والخالدة.] (الرسالة ضـد الـوثنيين ٢: ١٥ – ٢٠ ص ٦ ، ٧). هنـا يجب أن ندرك إن ما ذكره القديس بولس الرسول عن التحول بواسطة المعرفـة والرؤيـة، هو أساس الشركة في الطبيعة الإلهية وهـو مـا يؤكـده أيضـاً القـديس أثناسـيوس: [أن لا يكون هناك عائقاً لمعرفة الله، وأن يتأمل دائماً نقاوته أي صـورة الله الآب والكلمة الـذي خُلِق على مثاله أو صورته] (الفصل السابق من الرسالة إلى الوثنيين)، ويؤكد القـديس أثناسـيوس نفس الشرح، في الفصل الحادي عشر من تجسـد الكلمة، [لأن الله صـالح، أنعـم علـيهم

(الجنس البشري) بصورته الذاتية، فهي ليست فقط صورته، بل صورة الذات الإلهية أو الصورة الخاصة بالله ιδιας εικονος ربنا يسوع المسيح، وخلقهم حسب صورته الذاتية ومثاله حتى يفهموا من خلال هذه النعمة الصورة – وأنا أعني كلمة الله الآب، لكي يستطيعوا من خلاله أن يدركوا أو ينالوا المعرفة العقلية أو المعرفة الداخلية، النابعة من كيان الإنسان ـ كصورة الله الآب ـ ربنا يسوع المسيح، لأن هذا هو ما يعنيه القديس أثناسيوس بعبارة موجزة مركزة جداً δυνηθωαν εννοιαν δι αυτου του Πατρος λαβειν لأن هذا ما يجعله يتعرف أو يدرك الآب].

ومعرفة الإنسان بالله ليست محتوى عقلي يكوّنه الإنسان بقدراته الذاتية، بل هو نابع من نعمة الصورة، ولذلك عندما سقط الإنسان دنَّس وفقد هذه المعرفة الخاصة بالله، أو حسب تعبير القديس أثناسيوس:[فقد قدرته على رؤية الله أو إدراكه لله τοσουτον απεστραφησαν τον θεον وكوَّن معرفةً أخرى غير المعرفة الأولى، وحلت محل المعرفة الأولى] (تجسد الكلمة ١١: سطر ٢٢ – ٢٤ ص ١٦٠ – ١٦١) وهذا نفسه هو ما أدى إلى ظهور الوثنية في تاريخ البشر.

٣– ولعل أخطر ما يمكن أن يقال عن الثقافة السائدة الآن، هو عدم فحص العلاقة بين الحياة ـ أي كيان الإنسان ـ والمعرفة، ولذلك كانت معرفتنا بالموت، أي بالشر، أي بما هو غير موجود، أي بما لم يخلقه الله هي سبب تحول كيان الإنسان بواسطة المعرفة وسقوطه تحت سيادة أو قبضة الموت، وهو ما جعل القديس أثناسيوس يؤكد عدم جدوى التوبة في رد الإنسان إلى ما كان عليه قبل السقوط (تجسد الكلمة الفصل السابع)، وهو ما استدعى تجسد صورة الآب الذاتي الابن مخلصنا يسوع المسيح. هذا يفتح لنا باب رؤية الشركة في الطبيعة الإلهية، ليس مثل سريان التيار الكهربائي أو عملية ميكانيكية، بل تحول الكيان الإنسان مرة ثانية بواسطة رد نعمة الصورة والشركة في اللاهوت، لكي ينتهي تماماً:

أولاً: الفصل بين الكيان والمعرفة في حياة البشر.

ثانيا : عودة المعرفة الروحية الداخلية. تصور أو إدراك الله في يسوع المسيح الذي رد لنا صورة الله، وجعل استيعاب الإنسان لكيانه الجديد هو بداية وينبوع المعرفة الحقيقية.

أخيراً: هذا يفتح لنا باب دراسة الأريوسية، والخطر الكبير الذي داهم الكنيسة، وكاد يحول المسيحية برمتها إلى شيعة وثنية جديدة.

الفصل الخامس

الشركة في الطبيعة الإلهية كبرهان ضد تعليم الهرطقة الأريوسية

لقد ذكرنا في الفصل السابق، اهتمام القديس أثناسيوس بالعبادة الوثنية السائدة في أيامه، ومعرفته الشخصية بما كان يحدث في العالم الوثني من عبادة وتأليه أشخاص لهم تاريخ معروف لا يتسم بالشرف أو الأخلاق الجيدة. ومع ذلك فقد ختم المعلم السكندري كتاب «تجسد الكلمة» بعبارات ذات دلالة Αυτος Χαρ ενηνθρωπησεν, ινα η θεοποιηθωμεν «لقد تأنس لكي يؤلهنا» ولم تكن الشركة في الطبيعة الإلهية جديدة، ولم تكن عبارة القديس أثناسيوس السابقة غير مألوفة، بل سبقها عبارات مماثلة لعلماء الإسكندرية الكبار أكليمنضس وأوريجينوس، وقبل هؤلاء القديس إيرينيئوس، ولكن حتى لا يضيع الهدف من القارئ هذه هي الفقرات التي وردت فيها الشركة في الطبيعة الإلهية.

* المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرات: ٩ – ٣٨ – ٣٩ – ٤٢ و ٤٣ – ٤٤ – ٤٥.

* المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرات: ٤٧– ٧٠.

* المقالة الثالثة ضد الأريوسيين فقرات: ٢٣ – ٣٣ – ٣٤ – ٣٨ – ٣٩ – ٤٨ – ٥٣.

* الرسالة الأولى إلى سرابيون فقرة: ٢٥.

* المقالة عن القرارات المجمعية De Decretis فقرة : ٤.

* المقالة عن تاريخ المجامع De Synod فقرة : ٢٦.

* الرسالة إلى إدلفوس فقرة : ٤.

* الرسالة إلى مكسيموس فقرة : ٢.

* حياة الأنبا أنطونيوس فقرة : ٧٤.

ويميز القديس أثناسيوس بين **الإله الحقيقي والإله بالنعمة في** :

* المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرات ٩ ـ ٣٩ المقالة الثالثة فقرة ١٩.

* الرسالة الأولى إلى سرابيون فقرة ٢٥.

* الرسالة إلى أساقفة إفريقيا فقرة ٧.

وعن التأله بالروح القدس:

* الرسالة الأولى إلى سرابيون فقرة ٢٣ ـ ٢٤ والرسالة الثانية فقرة ٣٣.

وإذا جمعنا عدد هذه الفقرات التي تؤكد الشركة في الطبيعة الإلهية، نجدها ١٦ فقرة في المقالات الثلاث ضد الأريوسيين، والباقي أي ٢٣ فقرة تؤكد مركزية الموضوع في شرح الإيمان، والدفاع ضد هجوم أريوس على عقيدة الثالوث، وتجسد ابن الله، وباقي الفقرات مثل التأله بالروح القدس. هذا يؤكد لنا أننا ليس إزاء موضوع فرعي أو فكرة شاردة عارضة، بل أمام جانب ضروري في الإيمان الأرثوذكسي.

الأريوسية في الدراسات التاريخية العربية المعاصرة:

لم تنشر دراسة جيدة كاملة عن الأريوسية باللغة العربية، سوى الجزء الخاص بهذه الهرطقة في كتاب الآب متى المسكين عن القديس أثناسيوس الرسولي. إن دراسة تاريخ ولاهوت ودفاع القديس أثناسيوس عن الإيمان، دون دراسة مطولة عن الأريوسية، يُعد خللاً كبيراً، ولذلك قدَّم الآب متى المسكين الخلفية التاريخية واللغوية والمصطلحات اللاهوتية السائدة والأدلة الفلسفية، فوضع دراسة الأريوسية، لأول مرة، في إطارها التاريخي واللاهوتي الصحيح لكي لا يقع القارئ القبطي في أخطاء تاريخية ولغوية ولاهوتية وقع فيها الذين كتبوا عن الأريوسية من غير المسيحيين، وحاولوا أن يصوروها على أنها:

١ـ كانت دعوة للعودة إلى التوحيد.

وهذا جهل تام وقع فيه غير المتخصصين الذين لم يدرسوا التاريخ، وليس لهم معرفة باللغات القديمة مثل اليونانية، ولا درسوا اللاهوت. وأشهر مثال هو دراسة فضيلة الشيخ أبو زهرة «محاضرات في النصرانية».

لم يكن أريوس داعية للتوحيد، فقد استعمل الألقاب الإلهية «الله» و «الرب» و«الضابط الكل» للمسيح، وهو الأمر الذي جعل القديس أثناسيوس يقول عنه إنه جاء لكي يعيد تقديم الوثنية، وأن يعيدها إلى الحياة وهي تلفظ أنفاسها، ولكن أريوس كان

يريد أن يعيدها تحت ستار الإنجيل، وأن يعطي لها دفعةً من خلال انتشار المسيحية. وخلاصة تعليم أريوس هي أن المسيح إلهٌ وربٌّ، خُلق قبل خلق العالم، وخلقه الآب لكي يخلق باقي الكائنات.

٢ـ وقد وقعت الدراسات العربية غير المسيحية، وهي كثيرة ولا تستحق الإشارة، في أكبر خطأ تاريخي، وهو تجاهل التعليم بالثالوث السابق على انعقاد مجمع نيقية ٣٢٥ م، وتوهَّم هؤلاء أن هذه العقيدة دخلت الكنيسة عن طريق الإيمان بقانون الإيمان النيقاوي، وهو ليس أول قانون إيمان، ولا هو أول اعتراف بالإيمان في الكنيسة الجامعة، ولكن الجهل والتعصب ومحاولة تقطيع التاريخ لكي يؤيد وجهة نظر غير مسيحية، جعلت الذين كتبوا باللغة العربية عن الأريوسية يسقطون هذه السقطة الشنيعة، ولذلك جاءت دراسة الآب متى المسكين لكي تغلق هذا الباب تماماً وتمنع رائحة الجهل والتعصب من التسرب إلى الكتابات العربية، وهو أمل باق أمامنا.

الخطأ التاريخي واللاهوتي في الدراسات المسيحية العربية المعاصرة:

لعل أهم خطأ هو اختزال الهرطقة، وبالتالي اختزال ردود الآباء ودفاعهم عن الإيمان. هذا خطأٌ غير مقصود يقع فيه الدارسون عن حُسن نية في محاولة لتبسيط موضوع خطير غير معقد بالمرة، وحصره في بعض نصوص الكتاب المقدس مثل أمثال ٨: ٢٢ وغيرها من النصوص التي عادت إلينا مرة ثانية في مطبوعات «شهود يهوة» أبناء أريوس.

وحصر الخلاف في شرح نصوص الكتاب المقدس بعهديه، جعل الهرطقة تبدو كما لو كانت مجرد خلاف حول شرح كلمة هنا أو كلمتين هناك مثل "بداءة خليقة الله" (رو ٣: ١٤)، أو "بكر كل خليقة" (كولوسي ١: ١٥)، أو "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مت ٢٧: ٤٦). ورغم حسن نية الدارسون من الأقباط وغيرهم إلا أن الموضوع ليس اختلافاً حول شرح نصوص الكتاب المقدس، وإنما هو اختلاف جوهري جداً حول موضوع الخلاص النابع أو المبني على إعلان الخلاص، كما أُعلن في المسيح يسوع بالروح القدس، أو بكلمات أخرى هي الخلاص يقود إلى الثالوث، أو الثالوث يقود إلى الخلاص، فكلا الموضوعين لا يمكن فصلهما حسب الأرثوذكسية، وقد حاولت الأريوسية هذا الفصل وعزل موضوع الخلاص عن موضوع طبيعة الله وعلاقة أقانيم الثالوث، ولكنها لم تنجح بسبب مقاومة الآباء بكل ما يملكون من حجة وقوة، ولسبب آخر أهم من كل الأدلة الدفاعية، وهو تقديم بشارة الحياة أي الإنجيل كقوة الله للخلاص، وهو أمر متعذّر تماماً إذا لم يكن لنا شركة في حياة الله نفسه، أعلنها وقدمها ابن الله.

لقد بات من الواضح أن الخلاص حسب الإنجيل هو نعمة، والنعمة تبنٍّي، والتبنّي هو هبة الآب في ابنه يسوع المسيح بالروح القدس. لقد قدَّم الرسول بولس هذه الحقيقة في (غل ٤: ٢ـ٧). ووضع في كلمات بسيطة جوهر الإنجيل:

* "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة"، وبذلك وضع أساس العلاقة وهو تجسد ابن الله.

* "مولوداً تحت الناموس"... الديانة اليهودية بكل ما فيها.

* "ليفتدي الذين تحت الناموس"... لكي يبطل وساطة الناموس في الخلاص.

* "لننال التبني"... لكي نصبح شركاء الابن، ولكي يكون هو البكر بين إخوة كثيرين.

* "ثم لأنكم أبناء"... عطية الله في ابنه.

* "أرسل الله روح ابنه"... سكنى الروح القدس كعطية التبني.

* "إذاً لست بعد عبداً"... نهاية وصاية الناموس كوسيط.

* "بل ابناً ووارثاً لله بالمسيح"... الملكوت السماوي.

لقد حصلنا على التبني من الآب [فالفداء الذي أكمله لنا الابن كان لتحضيرنا لنحصل على التبني من الآب. من هنا كانت مشيئة الآب ملحة لكي يكمل لنا الابن الفداء... إذ كان الآب يشتهي أن يكمل حبه لنا كأولاد بلغة ق. يوحنا، أو "كبنين"، ولكن هذا لم يكن كلاماً نبوياً يقال، بل كان إعلاناً فوق كل الكلمات، لأن الإعلان كان في حياة الابن «فالفداء ربطنا بالابن على مستوى الاتحاد "أنتم فيَّ وأنا فيكم" (يوحنا ١٤: ٢٠)»، حتى يكون لنا كل ما للابن عند الآب حتى وإلى الميراث!! ورباطنا بالابن بالفداء على مستوى الاتحاد، هو الذي أهلنا أن ندخل إلى الآب كأبناء في الابن الوحيد.. على أن اتحادنا بالابن على مستوى القيامة من الأموات، هو الذي وهبنا الروح القدس، وهو الذي يشهد لأرواحنا أننا صرنا أولاد الله بالقيامة من الأموات، وهو الذي يحقق أبوة الله لنا..][1].

وقد أدرك الآب متى المسكين قوة تعبير الرسول "بل ابناً" وقال إن الرسول يعطي الذين دخلوا الإيمان «الإحساس بالنقلة العظمى» من العبودية إلى التبني والابن ـ بكل المعنى والحق ـ ولكن ليس بالطبيعة، ولكن كامتياز حتى أنه لم يقلها متبني، بل ابناً،

[1] راجع شرح الأب متى المسكين لرسالة غلاطية ص ٢٧٠ وما بعدها.

بمقتضى وثيقة الميراث التي في يد الآب.. ورثة الله ووارثون مع المسيح (رو ٨: ١٧)، [لا نرث إلا من خلال الابن][٢]

ويؤكد شرح الأب متى، شرح القديس يوحنا ذهبي الفم لرسالة غلاطية الإصحاح الرابع، [كيف صرنا أبناء ؟، لقد ذكر لنا وسيلة واحدة، وهي أننا لبسنا المسيح الذي هو الابن. والآن يذكر وسيلة أخرى، وهي أننا قبلنا روح التبني] (شرح إصحاح ٤: ٤ ـ ٥).

ويقول القديس امبروسيوس: [لقد قال (الرسول بولس): ابنه، وهو ليس واحد ضمن كثيرين، وليس مجرد ابن، بل ابنه الخاص الذي يملك في كيانه الميلاد الأزلي؛ لأنه ابن الله الأزلي] (الإيمان الكتاب الأول فصل ١٤)، لأن أزلية الابن هي أساس التبني. ويقول القديس أوغسطينوس: [إننا نلنا التبني، لأن ابن الله هو الابن الوحيد، أمَّا نحن، فإننا أبناء الله بتنازل رحمته وغنى صلاحه، بينما هو الابن بالطبيعة والذي يشترك مع الآب في نفس الإلوهة.] (شرح رسالة غلاطية ٤: ٤ ـ ٥) مجلد ٣٥: ٢١٢٦.

منهج القديس أثناسيوس في الرد على الأريوسيين:

أولاً: لا يجب أن نقع في أكبر خطأ وقع فيه علماء العصر الوسيط، وهو جمع نصوص الآباء بشكل مبتور لتأكيد نقطة معينة، مما يجعل القارئ يفقد الرؤية الشاملة لكل النص وبشكل خاص كلمات وآيات الكتاب المقدس التي وردت قبل الاقتباس وبعده، فهي جزءٌ من الشرح لا يمكن تجاهله. وثمة نقطة أخرى، أهم بل ضرورية، وهي أن الكلام عن الشركة في الطبيعة الإلهية ورد في سياق الكلام الذي يدافع فيه الآباء، وبشكل خاص القديس أثناسيوس عن إلوهية وأزلية الابن، وعن أهمية الإيمان بأن الابن هو ابن الآب حسب الجوهر لكي يكون لنا خلاص وفداء وتبني وحياة أبدية. هذا ما سوف نحاول أن نبرزه هنا تاركين المجال للقديس أثناسيوس ونكتفي بأقل قدر من التعليق على نصوص القديس أثناسيوس.

ثانياً: يجب أن نكون على حذر من أن نحصر معنى الشركة في تعبير واحد، وهو «الشركة في الطبيعة الإلهية»، أو في فعل «يؤلِّه»؛ لأن هذا ينقل معنى الشركة من الإعلان الواضح إلى فكر أو معنى يشوبه الغموض، وهو ما يجب أن نبتعد عنه؛ لأن هناك الكثير من التعبيرات الأخرى التي تؤكد أن الشركة، هي:

* عدم الفساد، وتحول الجسد بالذات إلى عدم الفساد.

* الحياة الأبدية وعدم الموت.

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٧.

* عدم الألم.

* التبني.

* هيكل الروح القدس.

لأننا لا يمكن أن ننسب عدم الفساد إلى الطبيعة الإنسانية، حتى في الرب يسوع نفسه؛ لأن عدم الفساد لم يكن من الناسوت، بل بشركة الناسوت في عدم فساد اللاهوت. ونفس الكلام ينطبق على عدم الموت، وتحول ناسوت الرب من ناسوت قابل للموت إلى الناسوت عديم الموت، بل حيٍّ وخالد، وهو نفس التحول الذي سوف يحدث لنا. وهكذا يجب أن يدخل تحول الإنسان كتعبير مماثل لتعبير الشركة في الطبيعة الإلهية، وهو ما سوف يعبِّر عنه القديس أثناسيوس نفسه بكل وضوح.

ثالثاً: الإعلان عن الخلاص، هو إعلان عن الشركة في الطبيعة الإلهية، ولذلك علينا أن نضع كلمات القديس أثناسيوس نفسه ولا نؤجِّلها؛ لأن هذه النقطة بالذات قد تبدو جديدة تماماً على بعض القراء.

يقول القديس أثناسيوس:

[لقد تأنس لكي يؤلهنا نحن، وأعلن عن نفسه بواسطة الجسد لكي ننال معرفة الآب غير المنظور، واحتمل التعييرات من البشر كي نرث عدم الفساد] (تجسد الكلمة ٥٤: ٤).

وهنا معرفتنا بالآب غير المنظور هي أحد جوانب الشركة في الطبيعة الإلهية، لأن المعرفة التي تؤلِّه هي ليست معرفة عقلية نابعة من الإنسان، بل معرفة يقينية لعلاقة الآب بالابن، وهي معرفة نراها في ذواتنا في قبول نعمة عدم الفساد. وقد قدم القديس أثناسيوس موضوع عدم الفساد بشكل واضح في الفصل العشرين من تجسد الكلمة، والفصل كله جدير بالقراءة؛ لأنه يبدأ من السطر الأول بالإعلان (أبيفانيا) إذ يقول: [لقد كنا نحن ـ كما قلنا سابقاً في اختصار ـ سبب ظهوره أو إعلانه متجسداً ـ لأنه لم يكن أحدٌ آخر قادراً على أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلاَّ المخلص نفسه، الذي في البدء خلق الكون من العدم، ولا يقدر آخر أن يخلق البشر من جديد حسب الصورة إلاَّ صورة الآب، ولا يقدر آخر (غير الكلمة) أن يقيم المائت إلى عدم موت إلاَّ ربنا يسوع المسيح، الذي هو بعينه الحياة، ولا يقدر أحد أن يعلِّم عن الآب، ويدمِّر عبادة الأوثان سوى الكلمة الذي يدبِّر الكون، والذي هو وحده الابن الوحيد للآب...]. النص اليوناني مع الترجمة الإنجليزية (Thompson, p182-184).

وبعد أن يشرح موت الرب على الصليب، يعود إلى موضوع التجسد، ويشرح جسد الرب يسوع نفسه بهذه الكلمات :

[كان للجسد ذات الطبيعة التي لكل الأجساد، رغم أنه جاء إلى الوجود بآية جديدة إذ ولد من العذراء فقط، ومع ذلك فقد كان جسداً قابلاً للموت، ومات كما يموت كل الأجساد التي اشترك معها في نفس الطبيعة، ولكن بحلول الكلمة فيه لم يُعد هذا الجسدُ فاسداً حسب طبيعة الجسد، ولكن لأن الكلمة حل فيه فقد صارت له مناعة (أو قدرة مقاومة) الفساد، وعندما تم فيه موت الجميع، أي في جسد الرب، فقد أُبيد الموت والفساد لأن الكلمة حل فيه.] النص اليوناني مع الترجمة الإنجليزية (Thompson, p184-185).

ومن الذي يستطيع أن يتجاهل هذه الحقائق التي لم تقدَّم بطريقة منظمة، أي حسب نظام System بل قُدمت بأسلوب جعل الكل متماسك معاً. وهذا هو ما يميز أسلوب المعلم السكندري، فهو يبدأ بالإعلان (الأبيفانيا)، ومع الإعلان جاء تحول الإنسان، وهو التحول الذي يؤكد **أن الكلمة هو خالق الكل من العدم**، والتحول هو رد صورة الله وإقامة الطبيعة الميتة إلى عدم الموت، الأمر الذي أدى إلى هدم الوثنية، كما لا يمكن فصل كل هذا عن موت الرب وقيامته، ثم يعود إلى ذات النقطة مؤكداً، أن جسد الرب مثل كل الأجساد، ولكنه بسبب سكنى أو حلول الكلمة فيه دمر أو أباد الموت، هذا كله لا يمكن عزله عن معرفتنا بالآب.

ويعود القديس أثناسيوس إلى معرفة الإنسان بالآب في الفصل ٣٢ من تجسد الكلمة، فالله غير منظور، ولذلك الإعلان لا يمكن أن يتم إلاَّ بالأعمال εργα :[لأن الأعمال تصرخ عالياً وتعلنه بكل وضوح] (٣٢: ٥ ص ٢١٢ ـ ٢١٣). وإذا أُصيب عقل الإنسان بالعمى الروحي وعجز عن رؤية الله، فان أعمال المسيح تؤكد للإنسان إلوهية المسيح. ولذلك يقول :[لقد أقام المخلِّص جسده لكي يعلن أنه هو ابن الله الحقيقي، وأنه هو المولود الكلمة والحكمة وقوة الآب، الذي في الأيام الأخيرة ومن أجل خلاص الكل، **أخذ جسداً وعلَّم العالم عن الآب**، وأباد الموت ومنح عدم الفساد للكل بالوعد بالقيامة] (المرجع السابق فصل ٣٢ كله). وهنا يجب أن نتوقف أمام هذه الحقيقة الهامة وهي أن تألُّه الإنسان ليس شركة بدون معرفة، ولا هي معرفة بدون إعلان، والإعلان بالأعمال. وعدم الفساد ليس كلمة تقال، بل هو القيامة التي أُعلنت بقيامة الرب يسوع من الأموات، وهي العمل العظيم الذي يصرخ عالياً منادياً بإلوهية الرب يسوع المسيح. ولهذا السبب عينه يرى القديس أثناسيوس بكل وضوح وصراحة أن الأريوسية هي عودة صريحة إلى اليهودية، وإن اعتبار المسيح إنساناً فقط، لا يميز بين الأريوسيين واليهود، بل يطالب الأريوسيين بالختان وممارسة الشعائر اليهودية (المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة ٣٨)، والعودة إلى اليهودية ليس اتهاماً أجوف جاء من فراغ، بل هو اتهام حقيقي جاء من إنكار إلوهية الرب[1]، لأن هذا الإنكار هو إنكارٌ صريحٌ لقاعدة الخلاص كما أُعلن في يسوع المسيح، الذي رد الحياة إلى الإنسان.

---

[1] راجع على سبيل المثال المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة ٣٨.

ومن يدرس كتاب «تجسد الكلمة» بعناية يرى كيف صار تعبير «الحياة»، وهو الاسم الذي أُخذ أصلاً من إنجيل القديس يوحنا (فيه كانت الحياة)، هو العلامة الإنجيلية الصادقة على بشارة الحياة. ومن الذي يمكنه أن يرد الحياة إلى الإنسان سوى كلمة الله الذي هو أعظم من الكل، لأنه اللوغوس Logos أو الكلمة الخالق.

وأبينا العظيم في القديسين أنطونيوس الكبير يحاجج دفاعاً عن الإيمان ويقدِّم الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بنفس المنهج الرسولي إذ يقول للذين سألوه عن سبب إيمانه بالمسيح (حياة الأنبا أنطونيوس ٧٤) ويرد على السؤال: [لم يتغير كلمة الله، بل ظل كما هو عندما أخذ جسداً إنسانياً من أجل خلاص ورفعة الإنسان، واشترك معنا في الميلاد الإنساني لكي يجعل الإنسان مشتركاً في اللاهوت وفي الطبيعة الروحية] (فقرة ٧٤).

رابعاً: يلزمنا أيضاً أن نلاحظ كيف يستخدم القديس أثناسيوس آيات وكلمات الكتاب المقدس؛ لأن آيات العهدين معاً كانت البراهين التي استند إليها أريوس وتلاميذه، ولازال شهود يهوة يعودون إلى نفس الكلمات ويرددون نفس الحجج. إن جوهر وقلب الموضوع كله ليس حجم وعدد الاقتباسات من الكتاب المقدس، لأن الهراطقة ـ كما يقول القديس باسيليوس الكبير (راجع كتابه عن الروح القدس) ـ يقدمون أكبر عدد من آيات الكتاب المقدس، ولكن هذا ليس دليلاً على صحة تعليم الهراطقة. فالحجة أو البرهان محصور في «مجال الأسفار»، أي ما تعلنه الأسفار المقدسة عن الخلاص. وهنا تقف المسيحية بين الديانات الوثنية، والديانة اليهودية. والمشكلة مع الوثنية أقل أهمية لأن المسيحية ليس لها تراث مشترك مع الوثنية، ولكن لها تراث مشترك مع اليهودية، وهو بالتحديد والقطع أسفار العهد القديم. وإذا تمسكت الكنيسة المسيحية بالعهد القديم وحده فإنها لا تملك إلاَّ العودة إلى اليهودية، ولكن إذا قُرأ العهد القديم وشُرح على أساس **أعمال الرب يسوع التي تؤكد كلماته** "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٦٣)، صار إخضاع العهد القديم برمته للإعلان الجديد، الذي يعيد تفسير كل نصوص العهد القديم حسب نور الإله المتجسد الذي جاء لكي [يعلِّم عن الآب] ـ كما يقول القديس أثناسيوس ـ هو ضرورة لا يمكن التخلي عنها أو اعتبارها موضوعاً ثانوياً.

ويمكننا أن نؤكد أن الشركة في حياة الرب يسوع، وفي ميلاده ومعموديته، وتجاربه وموته على الصليب وقيامته، وانتظارنا للصعود معه وبه إلى ميراث السموات، هو الحد الفاصل بين اليهودية والمسيحية. وإذا كان تعبير الشركة في طبيعة الله يخيف المستعبدين للثقافة السائدة في المجتمع، يمكننا استبدال كلمة طبيعة بكلمة حياة، وهي في الحقيقة أوضح من كلمة طبيعة (مع ملاحظة أنَّ كلمة طبيعة هي الكلمة التي وردت في التعليم الرسولي الذي دونه القديس بطرس في ٢بطرس ١: ٣)؛ لأن المسيح لا يمكن أن تنفصل حياته الواحدة إلى ناسوت ولاهوت، فليس

للرب «حياتين» واحدة إلهية وأخرى إنسانية، بل حياة واحدة لمن قـال "أنـا هـو الطريـق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). وشهادة الأنبا أنطونيوس عن ميلاد الرب [لكي ننال نحن المـيلاد الجديد]، ليست من عند الأنبا أنطونيوس، بل هي كلمات الرسول بولس "فإذ قد تشارك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو (يسوع المسيح) أيضاً كذلك فيهما لكي يبيـد بـالموت (وهو ما نسمعه في كلمات أُنشودة القيامـة بـالموت داس المـوت) ذاك الـذي لـه سـلطان الموت..." (عب ٢: ١٤). إن لب الخلاص هو في الشركة، والشركة كلمة إنجيلية سـوف نراهـا في معظم نصوص القديس أثناسيوس.



الفصل السادس

الشركة في الطبيعة الإلهية
البرهان الإنجيلي في الرد على الأريوسية
(المقالات ضد الأريوسية)

يرجِّح علماء التاريخ الكنسي إن المقالات الثلاث كتبت أثناء النفي الثاني للقديس أثناسيوس في روما، وسوف يرى القارئ أن تأليه الإنسان هو أحد الأسلحة الحادة التي تقطع جذر الأريوسية.

أولاً: الدعوى الأريوسية الواضحة في مقالة أريوس، الثاليا ، أو المأدبة (مأدبة الموت والسم)، هي أن الابن له المجد، إلهٌ مخلوق يشترك في بعض صفات الآب. وإليك نص أريوس كما قدمه القديس أثناسيوس:

١ـ [*لم يكن الله منذ الأزل آبًا، ولكنه صار بعد ذلك آبًا، ولم يكن الابن منذ الأزل؛ لأنه لم يكن له وجود قبل ميلاده. هو ليس من الآب، بل هو مثل باقي المخلوقات جاء إلى الوجود من العدم، وهو غريب عن جوهر الآب؛ لأنه مخلوق وأحد المخلوقات*].

٢ـ [*المسيح ليس إلهًا حقيقيًا، بل هو مثل الباقين من المخلوقات* ***صار إلهًا بالشركة،*** *ولا يعرف الابنُ الآبَ معرفةً تامةً ـ إذ ليس له ذات معرفة الآب ـ ولا يرى اللوغوس الآب رؤية كاملة، بل هو لا يفهم ولا يعرف الآب بالمرة. هو ليس اللوغوس الحقيقي والوحيد للآب، بل اخذ اسم اللوغوس والحكمة* ***وبسبب النعمة التي نالها دُعي الابن والقوة.*** *إنه ليس مثل الآب بلا تغيير، بل له طبيعة متغيرة كمخلوق، ولذلك معرفته بالآب ناقصة*]

(النص اليوناني أوضح بكثير من الترجمة الإنجليزية راجع المجلد ٢٦ ابتداء من عامود ٢٩ وبعده الترجمة الإنجليزية ص ٣٦١).

غريبةٌ حقاً هذه الهرطقة....

هكذا وضع أريوس الحد الفاصل بين الخالق والمخلوق في الثالوث القدوس.

(أ) الخلق من العدم ـ مخلوق له طبيعة غريبة ومتغيرة عن الآب.

(ب) هو إله ـ وكما قلنا لم تكن الأريوسية دعوة للتوحيد ـ ولكن الإلوهة هنا هي نعمة، منحة، إلوهية ممنوحة. ادخل أريوس الزمان أيضاً كحد فاصل بين الآب والابن وجعل الزمان هو مقياس للإلوهة الحقيقية. فما هو فوق الزمان هو بلا شك أزلي. هذا حق ـ ولكن حسب القول الشائع ـ يراد به باطل؛ لأن الإعلان وبشارة الحياة تم في الزمان وإذا حُصِرَت أعمال الرب للخلاص في الزمان وحده، وفقدت أعمال الرب صلتها بالجوهر الأزلي ـ ضاع الخلاص تماماً، لأن كل ما حدث وما وُهِبَ للإنسانية ليس له أصل في الابن، بل هو ممنوح له ولا يملكه ولا يخص طبيعته، ولا هو تحت سلطانه.

وكان أكبر خداع الأريوسية هو الادعاء بأن الابن خالق كل الأشياء. ادعاءٌ كاذبٌ؛ لأن المخلوق لا يخلق. وفي مرحلة أخرى من مراحل تطور فكر أريوس قال إن الآب خلق الابن لكي يخلق الابن باقي المخلوقات، وإن هذا نوعٌ من «التفويض» الإلهي ناله الابن. وبذلك يصل الخداع إلى صورته الحقيقية فالابن إلهاً مخلوقاً؛ لأن الخلق من العدم هو قدرة وعمل الإله الحقيقي، ومَن جاء من العدم لا يملك وجوده، ولا تستطيع قدرته أن تعطي؛ لأن العطية قاصرة عليه وحده. هنا بشكلٍ خاص تضرب البدعة الأريوسية نعمة الحياة الأبدية؛ لأن النعمة لا يمكن أن تعطي إلاَّ من الله، ولا يملك مخلوق أن يوزعها على باقي المخلوقات.

هل تعرف أيها القارئ لماذا يعجز المخلوق عن أن يعطي النعمة للآخرين؟ لأن النعمة حسب الإنجيل هي نعمة «التبني»، ومَن هو محتاج إلى التبني كمخلوق لا يملك هذه العطية، ولهذا السبب لا يمكن أن يعطي الابن نعمة التبني إذا كان مخلوقاً، ولا يجوز أن تعمد الكنيسة باسم الآب الخالق والابن المخلوق؛ لأن الابن يحتاج إلى المعمودية مثلنا، وبالتالي لا يملك أن يعطيها، وهذا هو جواب القديس أثناسيوس نفسه: [ما هي الشركة بين الخالق والمخلوق؟ أو كيف يمكن لمخلوق أن يُحسب مع الخالق ويشترك معه في تقديسنا جميعاً؟ وحسب ادعائكم (الأريوسيين) ما هو السبب في أن نستلم إيماناً بخالق واحد ومعه مخلوق آخر؟ وإذا كان غاية الإيمان هو أن يكون لنا شركة في اللاهوت، فلماذا نحتاج إلى مخلوق؟ وإذا كانت الغاية من الإيمان هي أن نتحد بالابن كمخلوق ـ صار حسب ،ادعائكم الباطل ـ غير ضروري بالمرة أن يُسمى (أو يدعي) الابن في المعمودية، لأن الله الذي جعله ابناً قادرٌ على أن يجعلنا نحن أبناء، كما جعله هو ابناً، وبالإضافة إلى ما ذكر، إذا كان الابن مخلوقاً وهو من ضمن الطبائع العاقلة المخلوقة التي بها طبيعة عاقلة واحدة، فإن المخلوق لا يستطيع أن يقدم أو يعطي معونة أو مساعدة لمخلوق آخر مثله لأن الكل يحتاج للنعمة من الله] (المقالة الثانية فقرة ٤١).

إلوهية الابن الكلمة ووحدتنا مع الله:

استخدم القديس أثناسيوس أكثر من مرة الكلمة اليونانية συναπιομενος والفعل هو συναπιω يوحِّد، يوصِّل Join، يجمع [1]combine، والفعل خاص أيضاً بوحدة الأقانيم في الثالوث، وبالاتحاد في الصلاة الواحدة، وهو فعل عام ضروري لفهم موضوع الوحدة. وهنا في الفقرة ٦٩ ـ ٧٠ من المقالة الثانية في الرد على الأريوسيين يجب أن نرى بكل وضوح إن الوحدة التي يقصدها ويشرحها القديس أثناسيوس مؤسسة على: إلوهية الابن ـ اتحاده بنا نحن البشر عندما تجسد ـ إعادتنا نحن البشر إلى الله، ووحدتنا به، وهو ما يقصده بكلمة واحدة «تأليه» الإنسان في يسوع المسيح. هكذا يشرح أثناسيوس أهمية وضرورة إلوهية الابن في خلاص الإنسان.

فقرة ٦٩:

[وأيضاً، إذا كان الابن مخلوقاً، ظل الإنسان كما كان من قبل مائتاً θνητος ولم يُوحَّد مع الله أو بالله not joined to God μη συαπτομενος τω θεω لأن أي مخلوق لا يوحِّد مخلوقاً آخر مثله بالله، بل هو يسعى إلى من يوحِّده بالله، ولا يستطيع أيٌ من المخلوقات أن يكون هو خلاص الخليقة σωτηρια της κτισεως لأنه (أي مخلوق) في حاجة إلى الخلاص، ولكن (الله) أعطانا ما يسد هذه الحاجة عندما أرسل ابنه الخاص الذاتي لكي (يتجسَّد) ويصبح ابن الإنسان، ويأخذ جسداً مخلوقاً، لأن الكل كان تحت حكم الموت، أمَّا هو، فهو يعلو على كل (البشر)، ولذلك قدَّم جسده الخاص للموت عن الجميع لكي يموت الجميع فيه، وبذلك يتم حكم الموت، لأن الكل مات في المسيح، وعند ذلك يتحرر الكل من الخطية ومن اللعنة التي جاءت (مع الخطية)، ويحيا الكل إلى الأبد بعد القيامة من الأموات ولبس عدم الفساد والخلود] (راجع الترجمة الإنجليزية التي تحتاج إلى بعض التعديل ص ٣٨٦).

فالاتحاد بالله هو الخلاص، والخلاص بالتجسد، وبموت الرب على الصليب. وهنا يجب أن نقرأ كيف تمتزج كلمات الأسفار المقدسة بشرح المعلم العظيم وتصبح هي الأساس الذي يبني عليه القديس أثناسيوس شرح الإيمان بإلوهية الرب:

[ولأن اللوغوس لَبِس الجسد ـ كما شرحنا عدة مرات من قبل ـ خلصنا تماماً من سم وعضات every bite الحية، ومن كل الشرور التي تعود إلى الجسد وحركاته[2] التي تُقطع ومعها أيضاً الموت الذي أُبيد، وهو رفيق (جار ακολουθος) الخطية، لأن الرب نفسه يقول "رئيس هذا العالم آت وليس له فيَّ شيء"، وهو أعلن لنا من أجل هذه الغاية التي كَتَب عنها يوحنا "لكي يبيد أعمال الشيطان "وعند انعتاق الجسد وإبادة أعمال الشيطان

---

(1) G. Lampe, p1305

(2) راجع القداس الإلهي "حركاته المغروسة فينا".

من الجسد تحررنا جميعاً ηλευθερωθημεν لأننا (بسبب التجسد) صرنا من نفس عائلة الرب[1] συγγενειαν وأيضاً صرنا متحدين بالكلمة، ولأننا بذلك اتحدنا بالله فصرنا لا نحيا إلى الأبد على الأرض، بل كما قال هو نفسه حيث يكون هو سنكون نحن أيضاً...] .

الفقرة ٧٠ من نفس المقالة الثانية ضد الأريوسيين:

[وما ذكرناه لا يمكن أن يتم إذا كان الكلمة مخلوقاً ، هذا هو الأساس؛ لأن الشيطان هو أيضاً مخلوق، وهو سيواصل حربه (ضد البشر) مما يحصر الإنسان بين الاثنين (الله والشيطان)، ويُبقي الإنسان في مخاص أو أوجاع الموت دون أن يكون له نصير بالمرة يقدر أن يوحده بالله ويخلصه من الخوف.]

الاتحاد بالله يعني الخلاص من الموت لأن الله هو مصدر الحياة:

[هذا يعلن لنا الحق؛ لأن الكلمة ليس من المخلوقات، بل هو مصدر أو خالق الكل، ولذلك السبب عينه أخذ جسداً إنسانياً مخلوقاً **لكي يجدده لأنه هو خالقه، ولكي يؤلّهه في ذاته، وبذلك يقربنا جميعاً إلى ملكوت السموات حسب مثاله].**

والعبارات الأخيرة كثيفة جداً، وهي صفة اللغة اليونانية، ولغة القديس أثناسيوس نفسه ومنهجه في الشرح. لكن لا يجب أن يتوه من القارئ مهما كان:

١ـ الكلمة الخالق يجدد الجسد أي الإنسان.

٢ـ ولكن لماذا استخدم القديس أثناسيوس الفعل يؤلّه في ذاته، أي في كيانه حسب الأصل εν εαντω θεοποιηση.

والجواب هو: بسبب الاتحاد بالكلمة، ولكن هذا لا يكفي؛ لأن باقي العبارة يشرح السبب، وهو أننا قُرُبْنَا أو قَدِمْنَا إلى ملكوت السموات، فتأليه الإنسان ليس فقط بسبب التجسد، بل أيضاً من أجل الحياة في ملكوت السموات، وهو ما يجعل حياتنا الإنسانية، والجسد بشكل خاص مثل المسيح له المجد، وهو نفس كلام الرسول بولس "الذي سوف يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في ٣: ٢١) لأننا لو بقينا على الحالة الطبيعية البيولوجية التي نحن عليها الآن، لتعذّر علينا أن نرث ملكوت السموات، وهذا يعني أننا يجب أن نأخذ شركة الطبيعة الإلهية بعين الاعتبار إذا كان لنا رجاءٌ أن نكون في مجد المسيح، وأن ندخل الملكوت على مثال أو حسب مثال "جسد مجده".

---

[1] الكلمة اليونانية معروفة لنا في مديح يوحنا المعمدان في الليتورجيات الأرثوذكسية فهو يوصف بأنه قريب أو صهر أو من عائلة الرب يسوع συγγενης (راجع G. Lamp, p1267) وهكذا جمعنا الرب في أسرة أو عائلة واحدة من نفس صلة القرابة بسبب تجسده.

الواقع الجديد في علاقة الإنسان بالله:

هذا الواقع الجديد معلن في يسوع المسيح، وهو تبني الإنسان وإعداد الإنسانية الجديدة لملكوت الله، وهو ما جعل المسيح ابن الآب الذي تجسد حسب مسرة الآب وجاء إلينا لكي يرفع الإنسان إلى نعمة أعظم، وكل هذا معلّق بقبول الأساس، ولذلك السبب عينه يضرب القديس أثناسيوس الأريوسية في جذرها في الفقرة ٣٨ من المقالة الأولى، حيث يطرح على الأريوسيين عدة أسئلة هامة وهي:

١ـ[إمَّا أن الابن الإله الحق من الإله الحق، وتجسَّد لأجل خلاصنا، وهو ما يجعل تقدم وارتفاع الإنسانية مؤكداً تماماً بسبب تواضع الرب الذي قبل صورة العبد لكي يرفع الإنسانية... وهذا هو التعليم الصحيح.]

٢ـ [وإمَّا أن المسيح نال الرفعة والمجد عندما صار إنساناً، وقبل ذلك لم يكن له شيء من المجد والرفعة، وهو تعليم الأريوسية الذي يتعارض مع تعليم الكنيسة "مجِّدني أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا ١٧: ٥)].

[لكن الابن هو رب المجد الذي نزل لكي يرفعنا وهو لم يقبل هذه الرفعة في شكل اسم مُنِح له، وهو اسم الابن، وابنِ الله، والله، وإنما هو الذي جعلنا أبناء للآب، وألَّه البشر عندما صار هو نفسه إنساناً εθεοποιησε τους ανθρωπους γενομενος αυτος ανθρωπος] (راجع مجلد ٢٦: ٩٢ ـ الترجمة الإنجليزية ص ٣٢٩).

اعتراض القديس أثناسيوس على تعليم أريوس:

بعد نهاية الفقرة ٣٨ من المقالة الأولى، وهو النص الذي قدمناه سابقاً، يقول أثناسيوس مباشرة [لذلك لم يكن إنساناً وصار إلهاً، بل كان إلهاً وتجسَّد لكي يؤلِّهنا نحن] (تجسد الكلمة ٥٤)، (المقالة الأولى: ٣٩ ـ مجلد ٢٦: ٩٢).

وتأله البشر، حسب سياق نفس الفقرة، يسنده أثناسيوس من الكتاب المقدس لأن موسى دُعِيَ إله فرعون، والأهم هو نص مزمور ٨٢: ١ "الله قائم في مجمع الآلهة". والقديس أثناسيوس مثل كل الآباء لا ينكر شركة البشر في طبيعة الله في العهد القديم، ولكن هؤلاء نالوا هذه العطية من المسيح كيف يُدعى "بكر كل خليقة" إذا كان البشر الذين سبقوه دعوا آلهة وأبناء، وكيف صار هؤلاء آلهةً وأبناء بدون أن يشتركوا في اللوغوس... هذا اختراع اليهود المعاصرين. إذ كيف يعرف أيٌ من هؤلاء الله كآب (بدون الابن)؟. وكيف نال هؤلاء التبني بدون أن يكون للآب الابن الحقيقي الذي يقول "لا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن..."؟، وكيف يمكن أن يؤلِّه أياً من هؤلاء بدون الكلمة الذي هو قبل الكل (أزلي)؟، ولذلك يقول (المسيح) لأخوة (الأريوسيين) من اليهود "إذا دعا

آلهة أي الذين صارت لهم كلمة الله" (يوحنا ١٠: ٣٥) وإذا دعا هؤلاء جميعاً أبناء وآلهة". لأنهم نالوا التبني وتألهوا.

ثم يسأل القديس أثناسيوس [كيف يتم التأله بدون اللوغوس، وبدون الشركة فيه أو من خلاله]

πως δε και θεοποιησις γενοιτ αν Χωρις του Λογου Και προ αυτου (مجلد ٢٦: ٣٩ عامود ٩٣).

ويضيف بعد ذلك مباشرة [وإذا كان الذين دُعوا أبناء وآلهة سواء على الأرض أو السماء، قد نالوا التبني وتألَّهوا بواسطة الكلمة (اللوغوس) لأن الابن نفسه هو الكلمة، فمن الواضح أن هؤلاء جميعاً أبناء وآلهة بواسطته، وإنه هو كائن قبل الكل أو هو وحده الابن الحقيقي حسب الطبيعة وحسب الجوهر] (المرجع السابق).

تألُّه ناسوت الرب يسوع المسيح:

دراسة موجزة للفقرات ٤٢ ـ ٤٥ من المقالة الأولى ضد الأريوسيين.

كان نص فيلبي ٢: ٦ من أشهر الأدلة ضد إلوهية الرب يسوع المسيح عند الأريوسيين وبشكل خاص العبارات التالية "لذلك رفَّعهُ الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم". فقد كانت الإشارة إلى المجد والرفعة التي أعطيت للابن بسبب تنازله وتجسده هي الدليل الأريوسي على عدم أزلية الابن؛ لأن رَفَعَ ـ أعطى، هي أفعال خاصة بالزمان.. ولكن بشارة الإنجيل تفقد قوتها إذا فقدت مصدرها الإلهي، ولذلك تجيء العبارة الأرثوذكسية التي دخلت قانون الإيمان النيقاوي في ٣٢٥م لكي تؤكد بشارة الحياة "لأجلنا نحن البشر" وهكذا يشرح المعلم العظيم نص فيلبي ٢: ٦ ـ ٩ في الفقرات ٤٢ ـ ٤٥. لقد رُفِّع لأجلنا نحن، ولأجلنا نحن كُتِبتْ هذه الكلمات (١: ٤٢). فما هو جوهر بشارة الإنجيل الذي يوشك أن يضيع أمام هجمات الأريوسية؟

يجيب القديس أثناسيوس:

[لأن المسيح مات، ولذلك رُفِّعَ كإنسان لكي يأخذ ما يخصه كإله وما كان له على الدوام، حتى توهَب لنا نحن هذه النعمة؛ لأن الكلمة لم يفقد ما له عندما أخذ جسداً، بل بالحري **ألَّه الجسد عندما لبسه، وبالإضافة إلى ذلك أعطى هذا (التألُّه) بفيض صلاحه للجنس البشري..]** (١: ٤٢).

هل أنقص التألُّه من مجد الآب، وهو محور كلمات فيلبي ٢: ٦ ؟

يجيب القديس أثناسيوس:

[لقد تم ذلك لمجد الآب؛ لأن الإنسان الذي خُلِقَ وضَّل ورَجِع مرةً ثانيةً مثل ميت عاش (مثل الابن الشاطر) هيكل الله] (١: ٤٢).

ويتجلى قوة البرهان الأرثوذكسي في عبارة قد تخيف البعض؛ لأن كلماتها من القوة بمكان، بحيث لا تنسجم مع ضعف الجيل الحالي الذي يسمع عن الخطية أكثر مما يسمع عن النعمة:

[وعندما تأنس ابن الله، فإن القوات السماوية لم تَكَف عن عبادته، بل أنها تندهش عندما ترانا نحن كلنا الذي من جسد واحد معه συσσωμους εκεινου παντας ημας وقد دخلنا مساكنهم. هذا كان من المستحيل أن يتحقق، ولكن لأنه كان في صورة الله وأخذ صورة العبد ووضع نفسه وأسلم جسده للموت..] (المرجع السابق).

من الضروري أن نقف أمام تعبير القديس أثناسيوس نفسه συσσωμους لأنه غير مألوف عندنا، ولأنه يؤكد ما سبق وقلناه من قبل إن القرابة الجسدية أو الأسرة الواحدة صارت ممكنة، بل هي الواقع الحي الروحي الجديد الذي جاء به التجسُّد، وهو ما تعلنه الليتورجية في رقة شديدة عندما تصف يوحنا المعمدان بأنه (صهر عمانوئيل)؛ لأن القرابة هنا هي روحية، وقد نُقِلت من الأصل البيولوجي الذي يأتي من التناسل والولادة الجسدانية التي تعود إلى أب الآباء إبراهيم وآدم الأول، والآن تعود إلى رأس الإنسانية الجديدة ربنا يسوع المسيح الذي جاء إلينا حاملاً فيه، أي في أقنومه الإلهي الطبيعة الإنسانية الكاملة التي إتحد بها. وما تقدمه اللغة اليونانية هو جدير بالاهتمام لأن اللغة تحاول أن تنقل دقة الإيمان حسب استطاعة الحروف والكلمات، فالجسد هو σωμα وإذا أُضِيف المقطع συς وتم تركيب الكلمة συσσωμα والكلمة συσσωμος أصبحت الكلمة تدل على الجسد الواحد الذي يحدث في الزيجة (القديس ابيفانيوس ضد الهرطقات ٦٩: ٤٦) وأصبح المسيح جسداً واحداً معنا حسبما ذكر القديس أثناسيوس في الفقرة السابقة. وهو يعيد نفس الكلام ونفس التعبير وهو يشرح معاني كلمات هامة جداً حاول الأريوسيون قَلْب معانيها لكي تخدم الشيطان والخطية، مثل «الهيكل» و «الكرمة والأغصان» و «حجر الزاوية»، وهي كلها تعبيرات إنجيلية بالغة الدقة تشرح الإيمان، وتعلن الجديد الذي جاء به رب الخليقة الكلمة يسوع المسيح ابن الله المتجسد، وقد ضرب أريوس كل هذه التعبيرات الهامة بتعبير آخر ورد في أمثال ٨: ٢٢ وهو نص مفضَّل عند الأريوسيين وشهود يهوه "الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم..". والكلمات هنا تمزج بين أزلية الكلمة وبين تجسده، ولذلك فهو، أي المسيح، أُسِّسَ أي صار الأساس، ولكن هذا لا يعني بالمرة أنه نال بدايةً عندما تجسَّد، لأنه سبق كل الكائنات، وإذا قال السفر عن

الرب: إذ لم يكن غمر أُبدِئتُ.. أمثال ٨: ٢٤ وما بعده، فإن البداية لم تأتِ عند الخلق، بل جاءت عند التجسُّد؛ لأنه عندما خُلقَت السموات، كان هو هناك قبل السموات، ولذلك تفقد البداية الجديدة أساسها الإلهي إذا تَحول الابن، حسب ادعاء أريوس، إلى مخلوق.

فكيف أسس الابن؟ يجيب أثناسيوس:

[لم يَنَل الرب أساساً ولا بدايةً لوجوده؛ لأنه كان الكلمة الكائن قبل الكل، ولكن عندما لَبِس جسدنا الذي قطعه من مريم وأخذه، عند ذلك يقول «أسسني»، وهو يعني أن الكلمة الذي سكن في جسد من الأرض، لأنه أُسِّسَ لأجلنا، وأخذ الذي لنا حتى أننا نحن

ننضم فيه، أو ننضم له،	τα ημων αναδεχομενος
ونصبح معه جسداً واحداً أو من ذات الجسد	ινα ημεις ως συσωμος
مجتمعين فيه ومرتبطين معاً	συναρμολογουμενος οι και συνδεθεντες
بواسطة مشابهة الجسد	εν αυτω δια της ομοιωσεως της σαριος

ونصل إلى الإنسان الكامل، ونثبت في عدم الفساد والخلود] (المقالة ٢: ٧٤ مجلد ٢٦: عامود ٣٠٥).

والفقرة ٧٤ من المقالة الثانية ضد الأريوسيين لا تختلف عن ثيؤطوكية يوم الثلاثاء في التسبحة السنوية:

«كلمة الله الحي الذي للآب
نزل ليعطي الناموس على جبل سيناء....
هو أيضاً نزل عليكِ أيتها الجبل الناطق بوداعة ومحبة بشرية،
هكذا تجسَّد منكِ بغير تغيير بجسد ناطق
مساو لنا كامل وله نفس عاقلة
بقى إلهاً على حاله وصار إنساناً كاملاً
لكي يحل زلة آدم ويخلّص من هلك
ويُصيِّرهُ مدنياً (مواطن) في السموات....

لأن هذا هو الحجر الذي رآه دانيال
قد قُطِع من جبل ولم تلمسه يد إنسان البتة.
هو الكلمة الذي من الآب أتى وتجسد من العذراء».

والعبارات الأخيرة تأتي في نفس شرح القديس أثناسيوس:

[لذلك حسب الناسوت قد أُسِّسَ لكي ننضم إليه نحن الحجارة الثمينة، ونصبح البناء الذي يُشيَّد عليه، ونصبح هيكل الروح القدس الذي يسكن فينا........
لقد أُسِّسَ لأجلنا.
لكي نُبنى عليه نحن الحجارة.
وهذا ليس بناءاً عشوائياً.
بل الحجر يقطع من الجبل.
ثم ينقل لكي يوضع في الأساس في الأرض.
وعندما كان الحجر في الجبل.
لم يكن له بدء.
لكن عندما جاءت الحاجة إلى الحجر.
قُطِعَ ونقل.
ولو استطاع الحجر أن ينطق لقال "الآن قد أُسِّستُ عندما نُقلتُ من الجبل.. لأنه كان الكلمة الكائن قبل الكل، ولكن عندما لبس جسدنا الذي قطعه من مريم (لأن مريم صارت الجبل)....]

وقد سبق للقديس أثناسيوس وذكر نفس الشرح في الفقرة ٦٠ من نفس المقالة (راجع ص ٣٨١ من الترجمة الإنجليزية). والجسد الواحد الذي يجمع الكل هو أساس الكنيسة ووحدتها (راجع القديس أثناسيوس ،ضد أبوليناريوس ١: ٥ مجلد ٢٦: ١١٤٠) (والقديس غريغوريوس النيسي ،ضد أبوليناريوس ٢٨ مجلد ٤٥: ١١٨٤) هذه الوحدة، ليست نزعة عاطفية عشوائية، بل هي أساس اتحادنا معاً، وهي من الرب نفسه (القديس إيرينيئوس، ضد الهرطقات ١: ١٠ مجلد ٧: ٥٥) وهي الوحدة التي نذوقها سرياً في الإفخارستيا، ـ حسب شرح القديس كيرلس السكندري في تفسير إنجيل يوحنا ١٠: ٢ ـ ١١: ١١ ـ لأن الذي يجمعنا معاً فيه هو الرب يسوع بقوته الإلهية التي تعطى في الأسرار.

أولاً: في المعمودية.

وثانياً: في سر المسحة.

وهو ما يجعل القديس أثناسيوس ـ مثل كل الآباء ـ يقول لنا :

[لأجلنا نحن قدَّس ذاته وفعل هذا عندما تأنَّس.. وكان حلول الروح القدس عليه في الأردن هو حلولاً علينا نحن لأنه لبس جسدنا.. لأنه عندما اعتمد الرب كإنسان واغتسل في الأردن، كنا نحن الذين **اغتسلنا فيه وبواسطته هو.** وعندما قَبِل الروح كنا نحن الذين بواسطته قَبِلنا الروح] (المقالة الأولى: ٤٧ ـ الترجمة الإنجليزية ص ٣٣٣).

وثالثاً: في الإفخارستيا حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية في كل القدَّاسات.

وأخيراً في وحدة النفس السرية في الزواج السري Mystical للنفس (القديس غريغوريوس النيسي عظة ٩ على سفر النشيد مجلد ٤٤: ١٤٠٩).

وكل هذا ينهار تماماً إذا كان المسيح مخلوقاً مثلنا بلا أزلية، وبدون أن يكون من ذات جوهر الآب؛ لأن هذا يجعل الأسرار بلا فاعلية وبلا قيمة، ويحوِّل الكنيسة من جسد المسيح المستيكي إلى مؤسسة إجتماعية بشرية بلا نعمة وبلا شركة مع الله.

العبارات الخاصة بتأله ناسوت الرب، كأساس للخلاص من الموت، وللقيامة:

[لم ينقُص الكلمة عندما أخذ جسداً، ولذلك بسبب النقص الذي أصابه (الجسد) أخذ نعمة، بل بالحري ألَّه الذي لَبِسه وأعطى هذه النعمة مجاناً للجنس البشري] (١: ٤٢ ـ مجلد ٢٦: ١٠٠).

لقد نال الجسد حياةً ومجداً:

[كان الجسد هو الذي رُفِّعَ لأن الكلمة لا يحتاج إلى هذه الرِّفعة، ولم ينقص عندما أخذ الجسد، بل كنا نحن الذي رُفِّعنا مع يسوع عندما صرنا أبناء الله، وعندما حل فينا، ولذلك نحن نشترك في الجسد الذي لَبِسه؛ لأنه كان جسدنا الساقط. نحن الذين افتُدينا من الخطية وأُقِمنا من الموت ورُفِعنا إلى السموات] (١: ٤٣ مجلد ٢١: ١٠١).

ما أُعطيَ للمسيح كان لنا نحن، وما أُعطى للمسيح أُعطي للناسوت، أي الإنسانية وما رُفِّعَ كان الجسد.

[لقد قِيل أنه رُفِّع لأنه نزل إلى أسفل أقسام الأرض ولأنه مات، ونزوله وموته معاً يخصانه ولكن هذا تم لجسده..، والموت صار فداء البشر من الخطية، وإبادة الموت بالقيامة التي رفعتنا نحن، وصارت ثابتة فيه وأُعطيت لنا بسببه] (١: ٤٥).

وعندما يشرح القديس أثناسيوس كلمات سفر الأمثال ٨: ٢٢ يقول:

[لقد خلقه الله لأجلنا عندما أعدَّ له جسداً مخلوقاً ـ كما هو مكتوب ـ لأجلنا، لكي ننال التجديد ونؤلَّه] (٢: ٤٧).

التجسُّد والمدينة الواحدة:

كان مثال تجسُّد الرب، هو سكنى ملكٌ قوي وعظيم في مدينة، مما يجعل المدينة تتشرف بقوة وعظمة الملك، ولا يقوى عليها الأعداء (تجسد الكلمة الفصل التاسع). وأعداء الإنسان حسب الإيمان هم: الخطية رفيق الموت، الفساد والموت. والمدينة مثال سهل لأن تنوع وتعدد المنازل يقابل تنوع وتعدد أعضاء الجسد الواحد، وهو المثال الذي قدمه الرسول في (١كو ١٢: ١٢). والمدينة أيضاً هي أورشليم السماوية، وهي ليست مدينة مكونة من حجارة ومنازل مبنية بالطوب بل هي الحجارة الحية (١بط ٢: ٥) وهي بها مركز واضح وصورة جميلة، وهي والدة الإله التي ولدت الكلمة المتجسد.

وتأتي صورة المدينة **أولاً** من بيت لحم (ثيؤطوكية الاثنين)، وهي لذلك وبسبب التجسد تصبح «مدينة الله لأنك أنت مسكن جميع الفرحين» (ثيؤطوكية الأربعاء). وهنا تبدو هذه الأيقونة أكثر وضوحاً حسب كلمات القديس أثناسيوس وهو يشرح كلمات أمثال ٨: ٢٢ في المقالة الأولى ضد الأريوسيين:

[البدء هو مثل تأسيس مدينة مكونة من عدة أقسام متصلة كل قسم بالآخر؛ لأن هذا الذي يجعل المدينة، مدينة واحدة مثل أعضاء الجسد الواحد، كل عضو منهم خُلِق مع باقي الأعضاء والكل يعمل معاً في تآلف واحد لا يخضع عضو لآخر إلاَّ حسب حركة الأعضاء مجتمعة مثل المدينة التي تخضع لمؤسسها وحاكمها وتسوسها إدارة واحدة] (١: ٤٧).

لكن هذا لا يعني أن الرب مخلوق، بل هو مؤسس البدء، ورأس الجسد الذي ولد من العذراء، لكي ينقل أصل الإنسان وبداية الإنسان إلى أقنومه الإلهي (المقالة ٣: ٣٣)، وعند ذلك فقط، عندما يصبح للإنسان أصلاً جديداً في المسيح يمكن أن نقول إننا أخذنا بشارة الحياة الحقيقية [لأننا حسب أصلنا الأول في آدم نموت، ولكن من الآن صارت بدايتنا أو أصلنا وكل ضعفات الجسد نُقِلَت إلى الكلمة، لكي نقوم من الأرض بعد أن نُزِعَت اللعنة من أجل الذي هو فينا...، ولأننا من الأرض نموت في آدم، لكن الآن نولد من جديد من فوق من الماء والروح، وفي المسيح سنُحيا جميعنا..]. (المقالة ٣: ٣٣ ـ راجع الرسالة إلى أدلفيوس: ٤).

كمال عمل المسيح بالشركة في طبيعة الله:

يقول الرب يسوع "العمل الذي أعطيتني قد أكملته" (يوحنا ١٧: ٤). وقد نالت هذه العبارة مكاناً هاماً في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين. وفي هذه المقالة بالذات نقرأ عن التألُّه

٨ مرات. فما هو العمل الذي أكمله المسيح؟ حسب كلمات القديس أثناسيوس: [إبادة الموت والقضاء التام على الفساد. هذا تم لأن الرب أخذ جسداً مثل جسدنا وأكمل عمله فيه ،لقد أكمل العمل لأن البشر قد تم فداؤهم من الخطية وليسوا بعد أمواتاً بالمرة، بل تألّهوا وصاروا يُكمّلون كلٌ بالآخر، وبي، بسبب رابطة المحبة] (٣: ٣٣ ـ مجلد ٢٦: ٣٧٢).

فلو ظل جسد الرب بعد القيامة كما كان قبلاً خاضعاً للموت والألم، لَظل الخلاص ناقصاً، إذ لم يحدث أي تغيير في الإنسانية، ولكن العمل قد أُكمل [لأنه لو لم يكن العمل الإلهي الذي قام به الكلمة في الجسد قد أُكمل، لظل الإنسان بلا تألُّهٍ] ουκ αν εθεοποιηθη ανθρωπος ومرة ثانية και παλιν ،[إذا لم تكن صفات الجسد ει τα ιδια της σαρκος قد قيلت ουκ ελεγετο عن جسد الكلمة، لم يتحرر الإنسان منها بالمرة . (صفات الضعف)] (٣: ٣٣ مجلد ٢٦: ٣٩٣).

ولأن الكلمة أخذ جسد العبودية عندما صار في صورة العبد (في ٢: ٦)، ونقل هذا الكيان الأرضي وحوَّله إلى حياة ووجود جديد بالاتحاد به، تحرر الإنسان من الفساد، وهو ما يقصده أثناسيوس بالتألُّه:

[عندما تأنس الرب ولبس الجسد، تألّهنا نحن البشر بالكلمة؛

لأنه أخذنا نحن بواسطة جسده ...

παρα του Λογου τε θεοποιουμεθα προσληθεντες διατης σαρκος αυτου

وأيضاً لذلك κα λοιπον

نرث الحياة الأبدية κληρουομουμεν αιωνιον ξωην

٣: ٣٤ مجلد ٢٦: ٣٩٧).

لقد أخذنا الرب، أي أخذ الطبيعة التي تخص كل واحد منا، أي الإنسانية، عندما تجسد وتأنس، ولذلك كنا نحن الذين أُخِذنا، ونحن الذين تألَّهنا فيه، وليس بواسطة قوة خاصة منا أو فينا. وهو، أي التألُّه، هو الذي يؤهِّلنا للحياة الأبدية؛ لأن الحياة الأبدية لا يمكن أن تكون استمرارية للحياة البيولوجية التي نعرفها الآن، وهنا يضع القديس أثناسيوس ذات القاعدة الرسولية السابقة وهي أن الكلمة ظل إلهاً: [ولكن لأنه ظل الإله وأخذ الجسد، وفي الجسد ألّه الجسد] (٣: ٣٨ مجلد ٢٦: ٤٠٤).

هذا هو كمال عمل الرب يسوع أي التقديس أو التأليه: [لقد جاء الكلمة لكي يسكن فينا لكي يفدي الجنس البشري، وتجسَّد الكلمة لكي يقدس ويؤلّه الجنس البشري] (٣: ٣٩ مجلد ٢٦: ٤٠٨).

وعندما يؤكد القديس أثناسيوس التقديس والتأليه، فهو لا يؤكد الاتحاد فقط بين الكلمة والناسوت، بل يعلن أن التألُّه الذي حدث لجسد الرب يسوع المسيح هو أيضاً مُعلن في القيامة من الأموات: [أمَّا الآن فقد قام الجسد وخلع موته وتألَّه] (٣: ٤٨ مجلد ٢٦: ٤٢٥).

كان للأريوسيين محبة خاصة لآية إنجيل لوقا ٢: ٥٢ التي تؤكد إنسانية الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح، "وكان يسوع ينمو أو يتقدم"، وأخذ الأريوسيون هذه الكلمات لإنكار إلوهية الرب، ولكن ما هو الشرح الأرثوذكسي لها؟ يجيب القديس أثناسيوس: [ما هو الذي تتكلم عنه الكلمات، وما الذي ينمو؟ ـ كما قلت ـ التألُّه والنعمة θεοποιησις και χαρις التي مُنِحَت، سلَّمَتها μεταδιδομενη أو أعطتها الحكمة (الابن) للبشر، لكي يُنزع منهم الخطية والفساد، حسب مشابهتهم وصهارتهم (القرابة) ομοιοτητα και συγγενειαν لجسد الكلمة] (٣: ٥٣ مجلد ٢٦: ٤٣٣).

وقد حدد القديس أثناسيوس أن نمو الابن المتجسد تم تدريجياً حسب نمو قامته الإنسانية (٣: ٥٢). وما تقدم هو الإنسان، أي نحن [لأن فيه تقدَّم أو نما الجسد... لكي يثبِّت تقدُّم أو نمو الإنسان ولا يفشل (يسقط) بسبب الكلمة الذي سكن في الجسد] (٣: ٥٣ المرجع السابق).

لكن تقدم أو نمو الإنسان الذي حدث تدريجياً، هو بإرادة الحكمة كلمة الآب: [الذلك كما قلنا سابقاً لم تكن الحكمة هي التي نمت أو تقدمت، ولكن الناسوت هو الذي تقدَّم في الحكمة، ونما تدريجياً حسب نمو الطبيعة الإنسانية وأُلِّه فسار مجال (أداة) إعلان الحكمة للكل..] (٣: ٥٣ عامود ٤٣٦).

الخلاصة

لعل القارئ قد أدرك الآن أن تعبير التأله يعني:

١ـ عدم فساد الجسد.
٢ـ القيامة بمجد هو ذات مجد المسيح.
٣ـ تجديد صورة الإنسان.
٤ـ معرفة الإنسان الإختبارية بالله الثالوث بسبب الشركة.
٥ـ الحياة الأبدية لأن الموت قد أُبيد.
٦ـ نعمة التبني.

هذه هي بشارة الإنجيل، وإنكارها يعني الطريق المسدود أمام الإنسانية التي تبقى كما هي:

١ـ بلا تجديد أبدي.
٢ـ نحيا حياة بيولوجية مثل الحياة الأرضية.

٣ـ الانفصال عن الله، والحياة والنمو حسب القدرات البيولوجية، ولكن المسيح يسوع ربنا جاء لأجلنا وتجسد لكي يجمع كل البشر في تجسده، ومات لكي يبيد الموت، وقام لكي يعطي لنا القيامة والخلود، ولم نعد بعد نحيا حسب الطعام الأرضي الذي من تراب الأرض، بل حسب الطعام السماوي «خبز الخلود وعدم الموت».



الفصل السابع

شركة الطبيعة الإلهية بالروح القدس

تم الهجوم على الروح القدس في آخر مراحل تطور الهرطقة الأريوسية وتراجُعها عن بشارة الخلاص. فإذا كان الإيمان بإلوهية الابن يؤكد التبني ـ الفداء ـ عدم الفساد ـ القيامة من الأموات ـ ميراث ملكوت السموات ـ الحياة الأبدية، وهذه كلها تجمعها كلمة واحدة هي تأليه الإنسان، أي كمال عمل الابن، فما هو دور الروح القدس؟

لقد أشرنا من قبل إلى ما ذكره العلامة أوريجينوس، وهو أن شركة الطبيعة الإلهية هي بالروح القدس، ولذلك ـ حسب هذا التسليم ـ يكتب القديس أثناسيوس في دفاعه عن إلوهية الروح القدس: [إذا كانت شركتنا مع الروح القدس تجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٤)، فإن من يدَّعي أن الروح القدس مخلوق (حرفياً ينتمي إلى طبيعة مخلوقة) وليس طبيعة الله، هو مجنون؛ لأن سكناه فيهم هي سبب تألُّههم. وإذا كان يؤلِّه فلا شك أن طبيعته هي من الله]. (الرسالة الأولى ٢٥ مجلد ٢٦: ٥٨٩).

ومن المعروف أن القديس أثناسيوس مثل آباء الأسكندرية كان لديهم قاموس لكل مصطلحات ومفردات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ولا زال الأثر الباقي هو قاموس لمصطلحات كلمات المزامير، بقيت منه صفحات قليلة حشدت فيها كلمة ϩμομ[1] ومشتقاتها. ومن يدرس بعناية الرسائل الخمسة إلى سرابيون، يستطيع أن يميز أن دقة الاقتباسات تؤكد وجود قاموس للعهدين وزعت عليه مفردات وكلمات الكتاب المقدس حسب المواضيع. هذا ظاهر بدقة في الرسالة الأولى إلى سرابيون. وبعد أن يقدِّم العديد من آيات الكتاب عن الروح القدس، وأنه هو روح التبني يقول في خاتمة الرسالة الأولى: [فيه (الروح القدس) يمجِّدالكلمةُ الخليقةَ عندما يؤلِّهُها ويتبناها ويقدمها للآب. فالذي يوحِّد الخليقة بالكلمة لا يمكن أن يكون هو نفسه ضمن المخلوقات (رتبة المخلوقات)،

[1] مخطوطة قبطية ـ يونانية في المتحف البريطاني وتؤكد المقالات الخمسة عن الروح القدس إلى سرابيون وجود القواميس القبطية.

والذي يتبنى الخليقة لا يمكن أن يكون غريباً عن الابن، وإلاَّ فالضرورة تحتم أن نجد روحاً آخر لكي يوحِّدنا فيه بالكلمة... هذا غير معقول absurd. لذلك الروح القدس لا يحسب ضمن المخلوقات، بل هو في إلوهية الآب؛ لأن فيه (الروح القدس) يؤلِّه الكلمة المخلوقات، ومَن فيه تتألَّه الخليقة، لا يمكن أن يكون خارج إلوهية الآب]. (المرجع السابق عامود ٥٨٩).

ولعل القارئ قد لاحظ أن الفعل ورد في هذه الفقرة ثلاث مرات، وإن عمل الروح القدس هو توحيدنا بالكلمة ـ والتبني هنا هو شركة الطبيعة الإلهية، أي شركة طبيعة الابن.



الفصل الثامن

شركاء الطبيعة الإلهية في الوثائق التاريخية المجمعية

أولاً: الدفاع عن مجمع نيقية ٣٢٥ م:

كتب القديس أثناسيوس هذه الرسالة إلى صديق لم يذكر اسمه كان يحارب البدعة الأريوسية، وكان يحتاج لمعونة المعلم السكندري لشرح تعبير [الواحد مع الآب في الجوهر] وهو التعبير الذي رفضه حزب أريوس تحت ستار أنه غير معروف في الأسفار.

وأهم ما يميز هذه الوثيقة التاريخية الهامة، هي أنها قدَّمت الكثير من المعلومات التاريخية عن ما حدث قبل وأثناء انعقاد المجمع المسكوني الأول. ومن فقرات هذه الرسالة نعرف مقدار مكر وخبث الأريوسيين، وقدرتهم على اللعب حتى بكلمات الكتاب المقدس مثل «قوة الله» وغيرها من مصطلحات لا يمكن أن تُنسب إلى المخلوقات (راجع فصل ٢٠).

كانت الأريوسية تبحث عن مجامع إقليمية متعددة لكي تحارب الأرثوذكسية كما أعلنها مجمع نيقية. ولذلك كانت دراسة الوثائق التي أدت إلى قرار مجمع نيقية، هي أول عمل لاهوتي تاريخي Historical Theology يصدر من كنيسة الأسكندرية يشرح لنا حقيقة التطور التاريخي للبدعة الأريوسية[1].

يهمنا هنا الفقرة ١٤:

[تجسَّد الكلمة ليس لكي يقدِّم جسده فقط عن الكل، بل أيضاً لكي نتألَّه نحن الذين نشترك في الروح القدس، لأن قبولنا هذه العطية مستحيل بدون أن يلبس جسدنا المخلوق، و(بسبب هذه العطية) أخذنا اسم «رجال الله»، «رجال المسيح»؛ لأننا **عندما**

[1] ومرة ثانية نعلن أسفنا الشديد جداً لما نشر عن الأريوسية في مصر بواسطة غير المسيحيين لأنهم أعلنوا لنا ليس فقط الجهل بالمصادر التاريخية ـ واللغة اليونانية بل عدم الأمانة في تقديم النصوص التي يجب أن تقدم للقارئ بكل دقة ممكنة.

نقبل الروح القدس لا نفقد جوهرنا، كذلك الرب نفسه عندما تجسَّد لأجلنا وأخذ جسدنا لم يفقد إلوهيته (لم يصبح أقل من الله) لأنه لم يفقد إلوهيته عندما لبس الجسد بل بالحري ألّه الجسد وجعله عديم الموت] (De Decr. 14 مجلد ٢٥: ٤٤٨).

وهنا تظهر العبارات المتساوية في عدد الكلمات، المختلفة في الصياغة، والمؤكِّدة لفكرة واحدة، تظهر كأحد السمات البارزة للقديس أثناسيوس، وربما لجأ إلى هذه الصياغة بالذات لكي يبطل شغف الشعب بعبارات مماثلة لما قاله أريوس في «المأدبة» أو «الثاليا» ولاحظ:

[قبولنا هذه العطية مستحيل بدون أن يلبس جسدنا المخلوق.]

[نقبل الروح القدس لا نفقد جوهرنا].

[الرب نفسه عندما تجسد.. لم يفقد إلوهيته].

لكن ما يجب أن نتذكره هنا هو أن خاتمة أو خلاصة الشرح:

[عندما لبس الجسد.. ألَّه الجسد وجعله عديم الموت].

هكذا يجب أن نفهم أحد جوانب الشركة في الطبيعة الإلهية، وهي عدم الموت.

ورغم تساوي العبارات، وقدرة الكاتب الفذة في وضع صياغة لاهوتية مُحكمة، إلاَّ أننا لا يجب أن نفقد الهدف وهو أن العلاقة مختلفة؛ لأن عدم تحولنا وبقاء الطبيعة الإنسانية لا يجعلنا نفقد عطية الروح القدس، والمثال العكسي هو الرب نفسه، الذي لم يفقد إلوهيته عندما تجسد. هذه المقارنة الدقيقة تصل بنا إلى **نقطة التقاء الله والإنسان في يسوع المسيح**. لقد تجسد الكلمة وظل إلهاً، ألَّه الجسد وجعله عديم الموت. نحن نأخذ الروح القدس ونتألَّه في المسيح وننال عدم الموت ونظل بشراً.

الفصل التاسع

الوثائق الخاصة بقرارات المجامع الأريوسية De Synodis

حسب الفقرة ٢٦ من هذه الوثائق، نعرف أن بدعة بولس الساموساطي كانت تدَّعى أن المسيح إنساناً، نما وصار إلهاً بعد ذلك رغم أنه إنسان بالطبيعة. وهذا يؤكد لنا من جديد أن لقب «إله» لم يكن مرفوضاً عند الهراطقة، بل الذي رُفِضَ هو العطايا التي تُمنح والشركة التي تُوهب، ولذلك يكتب القديس أثناسيوس وهو يشرح الأساس التاريخي للأريوسية:

[مرة ثانية ـ كما قلنا من قبل ـ إذا لم يكن الابن (من ذات جوهر الآب) فهو يشترك في الآب مثل اشتراك كل المخلوقات التي تنال هذه الشركة بنعمة الله، ولكن لأنه حكمة الآب والكلمة الذي تشترك فيه كل المخلوقات، وخلاصة هذا تعني أنه هو نفسه القوة التي تؤلِّه وتنير الكل، لأنه قوة الآب الذي به تتألَّه كل الكائنات وتدوم في البقاء، ولذلك هو ليس غريباً عن جوهر الآب، بل له ذات الجوهر، لأننا عندما نشترك فيه نشترك في الآب؛ لأن الكلمة هو كلمة الآب الذاتي. وحسبما ذكرنا إذا كان الابن يشترك مثل المخلوقات في الآب وليس من جوهر الآب الإلهي ولا هو صورته، فهو لا يقدر أن يؤلِّه، بل نال التألُّه مثل المخلوقات، لأنه من المستحيل على من نال التألُّه بالشركة أن يعطي ما اشترك فيه للآخرين؛ لأن ما ناله ليس خاصٌ به، بل أُعطي بواسطة العاطي (أو المانح) وإن ما أخذه هو مجرد نعمة كافية لسد حاجته هو فقط (فقرة ٥١ مجلد ٢٥: ٧٨٤).

هذه الفقرة بالذات ذات دلالة خاصة فهي:

١ـ تفصل بين الشركة حسب النعمة والشركة حسب الجوهر. الأولى تضاف وتوهب، والثانية هي الطبيعة الإلهية نفسها.

٢ـ التألُّه لا يُعطى لكي يعطيه كل مخلوق لمخلوق آخر مثله، بل هو نعمة خاصة كافية تُعطى حسب قدرة الواهب ـ العاطي ـ المانح ـ من أجل احتياج، وهي لذلك نعمة.

والاحتياج هو نقصٌ في الخليقة، هو الموت، هـو عـدم الاسـتنارة، ولـذلك، سـداد احتيـاج الخليقة هو البقاء في الوجود وهو التأله، وهو الاستنارة أي معرفـة الآب بواسـطة حكمـة الآب.

٣ـ هذه هي قدرة الابن الذي من ذات جوهر الآب، وهي قـدرة تجعلـه يؤلِّـه أي يُثبِّـت الكائنات في الحياة أو البقاء. وينير ويعطي لها معرفة الآب.

هل التأله موضوع جديد وغريب؟

بعد أن درسنا هذه الفقرات الطويلة المتنوعة التي كتبت بعناية من معلم الأرثوذكسـية «الرسولي الإيمان» يحق لنا أن نتساءل: هل موضوع التألُّه موضوع غريب لا وجود لـه في كتابات الآباء جاء مع إنشاء بيت التكريس وانتشار مؤلفات الآب متى المسـكين؟ أو وفـد علينا مع مؤلفات اليونانيين والروس.

إن هذا السؤال يفتح لنا ملف التاريخ المعاصر، فقبل قـراءة ودراسـة كتـب الآب متـى المسكين لم نكن نعرف شيئاً عن الآباء، ولذلك كانت شركة الطبيعة الإلهية رغم وجودهـا في رسالة القديس بطـرس الثانيـة (١: ٣) عبـارة مبهمـة غامضـة وجـاء زخـم الآب متـى المسكين، وجاءت معه نعمة الاستنارة، وجاء أيضاً خوف شديد لدى الذين لا يريدون رفعة الإنسان واسترداد مكانته الإلهية في المسيح، وهنا كما سبق وحذرنا نضع المحاذير التالية أمام كل قارئ مهما كان:

١ـ هل الخلود وعدم الموت والقيامة العامة، هي عطايا من عطايـا الآب في ابنـه يسـوع المسيح، أم هي طبيعة فينا وصفات مستمدة منا؟

إذا كانت عطية الله أو عطايـا الله في ابنـه، صـار اعترافنـا بالإيمـان المسـيحي صـحيحاً وكاملاً. أمَّا إذا قلنا إن هذه طبيعة خاصة بنا، وإننا نقوم بقوتنا، وإننا نبقى في عـدم المـوت بسبب إمكانيات الطبيعة الإنسانية، فهذه هي خرافات الوثنية حيث تألَّه أوزوريس بسبب صلاحه، ونقلت آلهة الديانات القديمة المصرية واليونانية وغيرها الإنسان إلى السـماويات لأن الطبيعة الإنسانية خالدة بقدراتها، عديمة المـوت بسـبب مـا تملـك.. وأصـبح اعترافنـا بالإيمان هو اعتراف بكلمات فقط.

٢ـ هل يوجد حدٌ فاصلٌ بين الخالق والمخلوق، حد لا يمكن للمخلوق أن يعـبره لأنـه لا يملك قوة العبور، لأن كيان المخلوق من العدم يعتمد على الله اعتمـاداً كـاملاً ومطلقـاً في البقاء إلى الأبد؟ أم أن المخلوق قادر على أن يحيا إلى الأبد بقدراتـه وبطاقـة مسـتمدة مـن كيانه تُعبِّر عن قدراتها بالبقاء في الخلود وعدم الموت؟

الخلق من العدم ينفي عن الإنسان الخلود الطبيعي، ويؤكد الخلود كنعمة من الله. الخلود الطبيعي ينكر نعمة الله وينفي بشارة الإنجيل.

* وإذا قلنا إن عبور المخلوق إلى الخالق مستحيل، نقول إن الإنجيل جاء إلينا بعبور الخالق ، وبتجسده، وبتحول الطبيعة الإنسانية لكي تَكتسب كنعمة: التبني ـ عدم الموت ـ معرفة الآب ـ سكنى الروح القدس ـ قيامة الجسد.. الخ.

هذه نعمة تُعطى لكي يبقى الإنسان إنساناً، ولكي يظل المخلوق مخلوقاً، ولكي يُمجد الله على قدرته على أن يعطي للإنسان هذه المكانة الفائقة، التي تندرج كلها تحت أسماء مثل الشركة والخلاص والفداء، والتبني ويجمع الكل اسم واحد «التألّه» شركة الطبيعة الإلهية.



الفصل العاشر

شركة الطبيعة الإلهية
في الرسائل الشخصية

كتب القديس أثناسيوس عدة رسائل، يهمنا منها رسالته إلى أدلفيوس الفقرة ٤، ورسالته إلى مكسيموس الفقرة ٢، هذه رسائل شخصية لأشخاص كانت لهم شركة مع الكنيسة، وهي لذلك أرثوذكسية.

ففي رسالته إلى أدلفيوس يقول القديس أثناسيوس: [لقد تأنس لكي يؤلِّهنا فيه، ووُلِدَ من عذراء لكي يحوِّل ميلادنا الخاطئ، لكي نصبح جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية] (٢بطرس ١: ٤) (مجلد ٢٦: ١٠٧٧).

وإلى مكسيموس يكتب: [لقد تألَّهنا، ليس لأننا نشترك في جسد إنسان مثلنا، ولكن بقبول جسد الكلمة نفسه] (مجلد ٢٦: ١٠٨٨).

وقبول جسد الكلمة هي عبارة تشير إلى الإفخارستيا؛ لأن الفعل اليوناني الذي استخدمه أثناسيوس هو λαμβανοντες أي يأخذ أو يقبل.

وما أكثر المرات التي سمعنا فيها من يقول إننا نشترك في ناسوت الرب وحده، أو عبارات أخرى تؤدي إلى نفس المعنى، وهي كلها عبارات تهدم الإيمان كله حسبما درسنا، وحسبما تسلمنا التقوى الأرثوذكسية من القدَّاسات نفسها «لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين». والإنسان يرتعد عندما يسمع الكاهن يقول «أعترف حتى النفس الأخير» أي حتى الموت «أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه من والدة الإله.. وجعله واحداً مع لاهوته».

لأننا هنا يجب أن نتوقف قليلاً أمام التقوى الأرثوذكسية نفسها لا لكي نُذكِّر القارئ بما كُتِب ضد نسطور، فهذا لم يعد كافياً في زماننا، بل نُذكِّر القارئ بأبسط حقائق الإيمان.

١ـ إذا كانت الإفخارستيا شركة في ناسوت الرب دون لاهوته، فما هي القوة والطاقة التي تجعل هذه الشركة ممكنة وحاصلة فعلاً ؟، إذا لم تكن هي قوة الاتحاد الأقنومي.. وقوة استدعاء الروح القدس الأقنوم الثالث... فما هي القوة التي تجعل جسد الابن على كل مذبح أثناء القدّاسات المتنوعة، وعلى كافة مذابح الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً "أليس لأننا نحن الكثيرين" (١كو١٠: ١٧)، نجيء من الانفصال والغربة والمسافات والأيام متباعدين لكي يجمعنا الرب ولكي نذوق منذ بداية الصلوات «سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة»؛ لأننا «نُبنَى» في المسيح بنياناً غير جسداني «جسداً واحد وروحاً واحداً» يجعل لنا ذات نصيب «القديسين الذين أرضوك منذ البدء» ؟!.

٢ـ إذا كانت الإفخارستيا هي شركة في ناسوت الرب يسوع المسيح دون إلوهيته، .. فملاذا نقول في المعمودية التي ننال فيها التبني ؟؛ هل هي أيضاً شركة في اغتسال الرب في مياه الأردن فقط ؟، أي أنها «حميم» مثل أي حميم، أم هي «حميم الميلاد الجديد»؟ فإن كنا شركاء الرب في بنوته حسب نعمة التبني، فهل آلت إلينا هذه النعمة من الناسوت وحده؟. إن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب هو هرطقة صريحة وهي بدعة بولس الساموساطي وغيره من هراطقة القرن الثالث وما بعده الذين علّموا بأن الابن مخلوق وأنه نال «التبني» من الآب.

إمَّا أن المسيح هو ابن الله حسب اللاهوت وحسب التدبير، وناسوته هو ناسوت ابن الله الذي لم يأخذ التبني كعطية، بل هو جسد من هو بالطبيعة ابن الله، وبالتالي بنوتنا نعمة حقيقية، وإمَّا أنه نال التبني مثلنا، وبالتالي لا شركة لنا في معمودية الرب ومسحته لأنه إنسانٌ مثلنا يحتاج إلى النعمة.

وعلى هذا القياس، نقول أيضاً إننا بالشركة في جسد الابن دون إلوهيته لا نأخذ شيئاً؛ لأن مصدر الحياة والقوة والقدرة ليس في الجسد حسب قول الرب يسوع نفسه "الجسد لا يفيد شيئاً ولكن الروح هو الذي يحيي" (يوحنا٦: ٦٣)، وحسب هذا، نحن ننال الجسد المحيي الذي يُعطي لنا «خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياةً أبديةً لكل من يتناول منه» حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية، ويصبح الادعاء بأننا ننال جسد الرب دون إلوهيته، هو باب الموت وباب العودة إلى الهرطقات القديمة وباب إنكار الإيمان، وهو ما لا نرجوه لنا ولا لأي مؤمن بالمسيح.

الفصل الحادي عشر

النتائج الخطيرة لفصل الناسوت عن اللاهوت وإنكار الشركة في الطبيعة الإلهية

أولاً: الجانب الرعائي:

ننبه بدايةً، إلى أننا يجب علينا أن نهجر البقاء في حدود وإطار الفكر المعاصر، والذي استقى حياته من العصر الوسيط، بل علينا العودة الكاملة بكل قوة وإيمان وأمانة إلى تعليم وحياة وشهادة الكنيسة الجامعة. إن الخطوة الأولى في هذا السبيل، هي استرداد البعد الكنسي باسترداد الكنيسة والعودة إلى الكنيسة، ولهذا السبب جاء الإلحاح على موضوع «الكنيسة جسد المسيح»، وهو التعليم الرسولي الذي صاغه الرسول بولس. وقد أشرنا من قبل إلى غياب موضوع الكنيسة من مؤلفاتنا رغم حضور الكنيسة في كل ما نملك ونمارس.

ويبقى لدينا بعض تحذيرات، حذار أن تصبح الكنيسة:

١ـ تجمعاً بشرياً يجمعنا معاً بسبب الميول والعواطف، والنزوع الإنساني الطبيعي للوحدة؛ لأن هذا يخلع من الكنيسة ما يميزها عن كل تجمع بشري، وهو ليس فقط الهوية بل أيضاً مصدر حياتنا وهو «المسيح»، والمسيح هنا كما هو في كل موضوع لاهوتي ومقال وكتاب هو «الإله المتجسد »،الكائن في الحضن الأبوي كل حين أتى وحل في الحشا البتولي غير الدنس.. (صلاة القسمة)، لأنه جاء لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، ولكي يخلق أسرة واحدة، وقرابة واحدة، مدينة واحدة (إبصالية الأحد) شعباً واحداً الله مع شعبه، «لأن الذي على الشاروبيم أتى وتسَّجد مِنك حتى اتحدنا به من قبل صلاحه» (ثيؤطوكية الأحد)، وشعب الله هو سَكَنْ الروح القدس، مثلما كانت والدة الإله (ثيؤطوكية السبت) وصرنا نحن أقرباء ـ أصهار الرب ـ أهل بيت الله ـ رجال الله ـ رجال المسيح.

٢ـ ولكن إن صارت الكنيسة جماعة بشرية فقط بلا أساس إلهي، بلا شركة في اللاهوت، فقدت قداستها وتحولت إلى حزب سياسي أو مؤسسة اجتماعية أو جمعية خيرية، وتحولت إلى ما يشبه كل المشروعات الاستثمارية.

٣ـ تحولت الأسرار إلى رموز فارغة بلا نعمة إلهية، وطقوس سحرية تخدع الحواس والفكر، ومناسبات اجتماعية بلا إله.. هل يوجد أفظع من هذا؟ ... حينما نتحدث عن التبني بدون الله، وعن جسد ودم عمانوئيل وهو مجرد جسد ودم لا حياة إلهية فيه، ولا يؤهلنا للشركة في المسيح.

٤ـ إذا لم تكن الكنيسة جسد المسيح لم يعد للموت علاج ولا للخطية شفاء، ولم تعد القيامة تحولاً في حياة الإنسان ينقله من الفساد وضعف اللحم والدم إلى ملكوت السموات، وهو ما يجعل بشارة الإنجيل خالية تماماً من البعد السمائي، ويتم فينا قول الرسول بولس إن كان لنا رجاء في الحياة الحاضرة فقط وليس في يسوع الحي فنحن أشقى جميع الناس (راجع ١كو ١٥: ١٩).

ثانياً: الجانب اللاهوتي الخاص بالإيمان:

يمكننا أن نقول بدون تردد إن الهرطقات القديمة عادت تطل من جديد وتدخل حياتنا بصورة ثقافية تحاول أن تنال من البشارة، أي بشارة الحياة في يسوع المسيح :

١ـ مدارس الفكر اليوناني القديم مثل الغنوسية والمانوية وهي الأثنية التي رفضت كل ما هو مادي وينتمي إلى الخليقة المنظورة، وهو بشكل مباشر رفض تجسد الابن ربنا يسوع، ورفض حلول الروح القدس في الإنسان؛ لأن الإنسان له جسد مادي، وبالتالي يتعذَّر على الله أن يسكن في الإنسان. نكاد نلمح هذا التعليم الذي يتسلل تحت اسم آخر وهو «الخطية»، ويعتبر الجسد هو مصدر الخطية والشر في الإنسان، وهو ما يجعل سكنى الله فينا، أو أي صلة مهما كان نوعها مرفوضة تماماً. هذا إنكارٌ صريحٌ للتجسد؛ لأن التعليم الرسولي "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩)، لكي نمتلئ نحن فيه (كو ٢: ١٠)، ولكي تنال الكنيسة رغم خطايانا فيضان صلاح الله ورحمته.

٢ـ وتضرب الثنائيات الغنوسية والمانوية في جذر كل العقائد ابتداءً من الثالوث حتى صلاة الجنَّاز. الثالوث المعلن في تجسد الابن وموته وقيامته وحلول الروح في يوم العنصرة، هو الثالوث الذي ضم الإنسان والكون إلى شركةٍ فيه، ولكن الآن بعد إنكار التجسد، وإنكار سكنى الروح القدس يصبح التعليم بالثالوث باطلاً؛ لأن الثالوث معلَنٌ في يسوع المسيح وبالروح القدس رسالة خلاص للإنسان.

وطبعاً، إنكار اتحاد اللاهوت بالناسوت في يسوع المسيح، أو حصر هذا الاتحاد في ناسوت أقنوم الابن وحده، وكأنه جاء لكي يجدد ناسوته هو الذي أخذه من والدة الإله، ويترك باقي البشر غرباء عن الله. هذا يعني أن الابن فدى إنسانيته وحدها.

وإنكار اتحاد اللاهوت بنا، أي بالناسوت، يقضي على كل الأسرار؛ لأن التبني هو من الاتحاد، والتناول من جسد الرب ودمه هو أيضاً من الاتحاد، وإنكار الأسرار يقود إلى إنكار القيامة من الأموات، وكأننا نسمع في زماننا أن القيامة حادثٌ طبيعيٌ مثل الموت وغيره من الأمور الخاصة بالجسد مثل الولادة والأكل.. الخ. وليست عملاً إلهياً يرفع الإنسانية من فساد الموت والضعف والشيخوخة والمرض ... الخ، إلى الحياة الأبدية ومجد السماويات وعدم الفساد.

٣ـ وإذا سمعنا أن الخطية تعزل وتفصل الإنسان عن الله، فهذا ينطبق على ما حدث في الفردوس، عندما طُرد آدم وحواء معاً وأقام الرب حراسة ملائكية حول شجرة الحياة لكي يبقى الإنسان في قبضة الموت التي اختارها، ((غصن واحد نهيتني عن الأكل منه.. أكلت بإرادتي وتركت عني ناموسك))، ولكن الآن بعد أن جاء نور الرب، وأشرق في كورة وظلال الموت، وبعد أن غيَّر الرب كل شيء في الإنسان، وفتح طريق شجرة الحياة، وجعل الكنيسة فردوس الله، وسكب الروح القدس، وفتح لنا ينبوع الخلاص في الأسرار، فالإنسان لا يمكن أن ينفصل عن المسيح. هذا هو تعليم الرسل والآباء، وهو أيضاً ما يمثل قلب وجوهر صلواتنا التي تدور حول نقطتين ظاهرتين بكل وضوح في كل القدَّاسات وهي:

* إنقضاء الموت والدينونة.

* إعلان الحياة الأبدية في المسيح، ومنح هذه الحياة مجاناً لنا.

وهذه هي نماذج من اعتراف الكنيسة بالحياة الآدمية السابقة، والحياة في المسيح التي وهبت لنا.

الطبيعة الساقطة	الطبيعة الناهضة في المسيح
يا الله الذي من أجل محبتك للبشر التي لا ينطق بها أرسلت ابنك الوحيد إلى العالم ليرد إليك الخروف الضال.	نسألك يا سيدنا لا تردنا إلى الخلف إذ نضع أيدينا على هذه الذبيحة.. لأننا لا نتكل على برنا ولكن على رحمتك هذه التي أحييت بها جنسنا.
الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس.	هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد

	ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. بمسرتك يا الله أملأ قلوبنا من سلامك.. لكي ننال بغير وقوع في الدينونة.
عندما خالفنا وصيتك بغواية الحية وسقطنا من الحياة الأبدية ونفينا من فردوس النعيم.	أنت خدمت لي الخلاص لما خالفت ناموسك. كنور حقيقي أشرقت للضالين. أزلت لعنة الناموس.. أبطلت الخطية بالجسد (القيامة) قتلت خطيئتي بقبرك.
لأنك أنت العارف، كخالق جبلتنا، أنه ليس مولود امرأة يتزكى أمامك.	صفحاً لزلاتنا وغفراناً لجهالات شعبك.
نحن غير المستحقين الضالين.	بذلت ابنك الحبيب عن حياتنا وخلاصنا.

وعلى القارئ الفاضل أن يراجع صلوات القسمة بالذات؛ لأنها صرخات الخلاص التي وضعها الروح القدس في الكنيسة، لكي يعلن لنا الخلاص من الموت ومن الدينونة رغم كثرة خطايانا وضعف الطبيعة الإنسانية، ولذلك لم يكن عبثاً أن ترد عبارة ذات دلالة لاهوتية هامة في كل صلوات القسمة «طهِّر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ونياتنا لكي بقلبٍ طاهرٍ ونفسٍ مستنيرة...»، لكي تُعلَن نعمة الله، وهكذا نحتاج نحن إلى العودة إلى هذه الأقداسَ التي ندخلها، ليس عن جدارة ولا عن استحقاق، ولكن لأن الله دعانا في ابنه ربنا يسوع المسيح وأعطانا من فيض صلاحه.

ولعل أكبر خطأ لاهوتي نقع فيه، هو محاولتنا أن تشرح لنا الخطيةُ النعمةَ، لأن العكس صحيح حسب النسق الظاهر في صلواتنا وفي الأسفار المقدسة؛ لأن النعمة لم تُعطى بسبب خطايانا، وإنما مصدرها وعملها وانسكابها في الرب هو صلاح الله ومحبته، ولذلك هي ترفع الخطايا والدينونة والآثام وكل التعديات؛ لأن صلاح الله يفوق سقوط الإنسان «الذي بكثرة رحمته حَلَّ عداوة البشر.. والموضع الذي كَثُر فيه الإثم فلتكثر هناك نعمتك.. لأنك أحببتنا هكذا وبذلت ذاتك للذبح من أجل خطايانا.. الذي فتح لنا طريق الدخول إلى الحياة.»

٤ـ ومهما كان شرح موت الرب يسوع على الصليب بكل جوانب الموت المحيي، تبقى الحقيقة واضحة وظاهرة لمن يريد أن يؤمن «بالرب الواحد يسوع المسيح»، وهي العبارة التي صاغها الآباء في قانون الإيمان النيقاوي، والتي كشفت عن فساد تعليم نسطور، وصارت نبراساً لكل مقالات ورسائل القديس كيرلس الكبير؛ لأننا نفقد كل شيء إذا كان موت الرب يسوع على الصليب هو انفصالٌ حقيقيٌ بين اللاهوت والناسوت. لقد انفصلت نفسه عن جسده، وهذا هو الموت بكل معانيه «ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا

عن نفسه ولا عن جسده»؛ لأننا نكاد ننسى أن الرب نزل بنفسه الإنسانية إلى الجحيم «يا يسوع المسيح يا ذو الاسم المخلص الذي بكثرة رحمته نزل إلى الجحيم وأبطل عز الموت» (قسمة سبت الفرح).

هذا يعني أن يبقى عمل الرب الواحد غير منقسم، وثابت في قدرته الإلهية واستطاعته أن يبيد الموت بقوة لاهوته؛ لأن الموت لا يقف أمام قوة الحياة التي جاء بها «رئيس الحياة».

لماذا استخدم الآباء جميعاً فعل يؤلّه ـ والتألُّه في الرد على الهراطقة ابتداءً من القديس إيرينيئوس (سنة ١٩٠)؟

أمامنا في كل كتب الآباء ثلاثُ حقائق بارزة نطالعها بوضوح شديد في كل المؤلفات اللاهوتية التي عرفتها الكنيسة شرقاً وغرباً.

ولا داعي بالمرة أن ندخل في جدل مع إدعاء ساذج جداً، بأن ما ورد في كتابات الآباء عن تألّيه الإنسان هو تزوير قام به الغرب؛ لأن المكتبات لا تزال تحفظ لنا ذات المخطوطات التي كتبها الآباء، مثل كتاب الثالوث للقديس كيرلس السكندري (كتب على ورق بردي وهو أقدم نسخة كاملة ووحيدة لهذا المؤلف) والاتهام بلا دليل لا يستحق المناقشة. لكن أمامنا الآن هذه الحقائق التي هي لُب الإنجيل.

أولاً: أرادت الهرطقات كلها عبر كل العصور، من حركة التهود التي قاومها الرسول بولس إلى الأريوسية والنسطورية، أن تحفظ الفجوة بين الله والإنسان، ولهذا السبب وحده وضعت حركة التهود الشريعة الموسوية والعادات، كوسيطٍ بين الله والإنسان، وحاولت أن تجعل المسيح مثل أنبياء بني إسرائيل؛ ولأن إلوهية الرب يسوع أعلى من سلطان الناموس أو الشريعة، ولأن هبة الحياة المجانية أعظم من كل وصايا الناموس، لذلك قاومتها الكنيسة.

لكن الدعوة إلى الإبقاء على هذه الفجوة عادت مرة ثانية مع الأريوسية؛ لأن المسيح كإله مخلوق لم يكن له وجود أزلي ولا هو من جوهر الآب، وبالتالي لا يقدر أن يعلن الآب، ولا يعطي حياةً أبديةً، ولا يهب التبني...، كل هذه العطايا كانت تحتاج إلى كلمة وفعل يؤكد أصلها الإلهي، ومن هنا كان القضاء على الفجوة التي خلقتها كل الهرطقات القديمة، وصارت أكبر بسبب نشاط الأريوسية وفجورها، التي لا يمكن القضاء عليها إلاَّ بتأكيد إلوهية ما أُعطى لنا، والتأكيد على أنه عائد و أن مرجعه الأول والأخير هو إلوهية ابن الله المساوي للآب في الجوهر.

ثانياً: كان من المستحيل الحديث عن إلوهية الرب المتجسد وشرح بشارة الحياة الأبدية وتقديم الإنجيل، إذا ظل المسيح يسوع الرب الواحد إله +إنسان طبيعي قابل للموت والفساد والانحلال في القبر. لذلك جاءت كلمة التألُّه، وفعل يؤلِّه لكي يؤكد ارتفاع

الطبيعة الإنسانية إلى ما هو سمائي، وما هو إلهي. والأساس الرسولي لهذا ظاهر في مقارنة الإنسان الأول آدم بالإنسان الأخير، أو آدم الأخير الرب يسوع في ١كو ١٥: ٤٧ ـ ٤٨.

آدم الأول	آدم الأخير
آدم الأول نفساً حياً.	آدم الأخير روحاً محيياً.
الإنسان الأول من الأرض ترابي.	الإنسان الثاني الرب من السماء.

ولعل القارئ الذي يواظب على حضور القدّاسات قد لاحظ أن تعبير الرسول "روحاً محيياً" يظهر في صلواتنا ليس كوصف فقط، بل إعلان الحقيقة الكبرى.

«الجسد المحيي».

«الأسرار الإلهية السمائية غير المائتة».

لأن هذه إعلانات عن التحول العظيم الذي جاء به الرب يسوع المسيح. هذا التحول لا يمكن أن يكون بقاءً للإنسان كما هو في حالته الطبيعية الأولى الترابية، ولذلك قبل المقارنة بين آدم الأول وآدم الأخير يقدِّم الرسول بولس المقارنة الوثيقة بين آدم والمسيح، بين الموت والحياة الأرضية وبين القيامة: ١كو ١٥: ٣٥ ـ ٤٤.

يزرع في فساد	يقام في عدم فساد
يزرع في هوان	يقام في مجد
يزرع في ضعف	يقام في قوة
جسماً حيوانياً	جسماً روحانياً.

ولذلك، وكأن الرسول بولس يلمح ما سوف يقال في زماننا : "أقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً (الإنسان الطبيعي كما هو من الأرض) **لا يقدر** أن يرث ملكوت السموات".

والمحصلة: **لا يرث الفاسد عدم الفساد** (١كو ١٥: ٥٠).

علينا أن نفكر في هدوء وصلاة وتضرع: هل سندخل الحياة غير الفاسدة بكل ما فينا من أمراض ومتاعب صحية، أو عاهات ونقص في كل شيء، في المعرفة، في الحركة، في النمو... الخ لعل الفنان الأرثوذكسي أدرك حقيقة التعليم الرسولي، فرسم بالفرشاة نفس والدة الإله يحملها المسيح وهي في صورة وشكل طفل مقمَّط لأننا حسب كلمات الرب يسوع "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ١٨: ٣).

ثالثاً: لعل أهم الأسرار، هي أسرار الإنضمام إلى جسد الرب يسوع، الجسد الواحد، الكنيسة (١كو ١٢: ١٢ ـ ١٣). وحقاً إن المعمودية بالماء والزيوت المقدسة والميرون، مسحة لها أوصاف وتدبير خاص بها، والإفخارستيا خبز وخمر من ثمار الأرض..، ولكن كل هذه تُنقل وتتحوَّل إلى مياه الخلاص والغفران، مسحة الروح القدس، جسد الرب ودمه. وهكذا يجب أن نرى العالم أو الكون المادي المنظور الذي نعرفه تمام المعرفة، ونعيش فيه حتى ندخل الليتورجية خدمة السمائيين؛ لأننا «مثل أو نحسب مثل القيام في السماء». وكيف يظهر الكون الجديد أو العالم الجديد؟ بالتقديس وبتحوُّل ما هو فاسد ومادي ومائت وأرضي، إلى سمائي وحي وأبدي، وهو ما تلخصه كلمة واحدة «إلهي». وتبقى نقطة حاسمة تعتبر مفترقُ طرق:

الطريق الأول: الحياة الطبيعية المادية بكل ما نعرفه عنها، ولا نملك أن نغيرها مهما كانت قدراتنا. لا سيما الموت / الفساد / الضعف / الهوان وسائر الأوصاف التي يمكن أن تضاف إلى كلمات الرسول بولس، هذا طريقٌ بلا إنجيل، بلا خلاص، بلا قيامة، بلا حياة أبدية.

ومن يريد أن يسلكه سوف يحصد ثمار قراره.

الطريق الثاني: هو الطريق الجديد الذي يدخل فيه العالم الطبيعي أو الكون وفيه الإنسان، إلى دائرة الحياة الجديدة، تتحول فيه المياه والزيوت والخبز والخمر إلى قوة للحياة وللغفران والشفاء، وذلك؛ لأن ابن الله عندما اتحد بما هو مادي «كل الخليقة تهللت بمجيئك» قدَّس رحم الولادة، قدَّس مياه الأردن، سكب الروح القدس علينا، أباد الموت على الصليب، أعلن الحياة الأبدية والقيامة من الموت والفساد بقيامته. جعل سكنى الله ليس في هياكل مصنوعة بيد، بل بما خلقه هو، المصنوع من الله أي الإنسان..، وبالإضافة إلى هذا، فقد تحوَّل الإنسان من الحياة الحيوانية الأرضية إلى حياة سمائية، من عبد إلى ابن بالنعمة، من ميت إلى كائن يدخل الحياة السمائية، من جائع إلى الحياة إلى من يأكل "خبز الله النازل من فوق" من عند الآب (يوحنا ٦: ٣٢ ـ آخره).

ويبقى السؤال الخطير: هل كل هذه الأسرار والنعمة والتحول في كيان الإنسان والحياة السمائية آتية من الكون ويعطيها الكون؟.. هل هي بإنسان اسمه يسوع المسيح.. أم هي من الله، وهي إعلانات الشركة في حياة الرب وهبات الروحً القدس؟.. في الحياة السمائية نحن نشرب اللاهوت نفسه حسب كلمات الرب "الماء الذي أنا أعطيه يصير فيه إلى ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٥). هل من المعقول هذا؟ نعم لأننا نحتاج إلى الاغتسال في المعمودية، والمسحة في الميرون، والطعام في الإفخارستيا.. نعم لقد تحوَّل

الاغتسال إلى عمل إلهي، وصار الطعام سمائياً، وتحوَّلت كل الأفعال الإنسانية (حتى المـوت نفسه دُعي رقاداً) إلى إعلانات خاصة بالشركة.

وإذا جال في الفكر سؤال.. هل هذه إلهية؟ وماذا نقول بعد ما قلناه..

نعم لأنها ليست أرضية من حيث المصدر، بل سمائية..

نعم لأنها ليست إنسانية؛ لأن الواهب والعاطي ليس إنساناً فقط، بل الإله المتأنِّس..

نعم لأنها إلهية؛ لأن كل هذه هي الحياة الأبدية التي تعطى لنا الآن كاملـة، إلى أن يجـيء زمان الانعتاق في يوم القيامة العامة، الذي نرتل له في ختام قانون الإيمان.



الفصل الثاني عشر

أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له

لم يضع الآباء أسماءهم على صلوات وألحان الكنيسة الجامعة إلا نادراً، لأن هذه الصلوات والألحان ليست فكر شخص واحد، والأسماء التي نراها في «الخولاجي» مثل القديس باسيليوس وغيره..، هي أسماء شهادة على صحة الترتيب وسلامة الإيمان.

وخلف الصلوات والألحان تقف الحقيقة الشامخة، مثل جبل لا يمكن أن يخطئ أحد في التعرف عليه، وهي ترتيب إيمان العهد الجديد الأبدي.

أولاً: ما يجب أن نلاحظه في هذا الجبل الشامخ هو أن "الله معنا" أو "عمانوئيل" ليس كما كان مع قديسي العهد القديم، بل بحضور فريد هو تجسده الإلهي الذي تعبر عنه صلاة ـ لحن يا ملك السلام

«عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن،

بمجد أبيه والروح القدس،

ليباركنا كلنا...،

نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح

والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا،

لأن المسيح ربنا هو رأس الجسد (اف٤ : ١٥) وهو الذي يجمع الأعضاء معاً ولذلك كل الأعضاء مجتمعة معاً هي أعضاء جسده.

وعمانوئيل هو الله،

الطعام الحقيقي،

شجرة الحياة،

عديمة الموت (ابصالية الإثنين).

فقد أشرق جسدياً من العذراء (ثيؤطوكية الإثنين)، ولذلك يضع القديس أثناسيوس هذه الحقيقة التي تؤكد: تواضع الرب ابن الآب وتجسده ـ ثم بقاء ألوهيته بلا تغيير عندما تجسد وهو ما يصفه المعلم الكبير باسم «الحضور المتجسد» أو «الحضور في الجسد» (راجع تجسد الكلمة فصل ١٨ ضد الأريوسيين المقالة الأولى ٥٩ ـ المقالة الثانية: ٥٥ و ٦٦).

وصلة عمانوئيل بجسده هي سر التسبيح الضخم العظيم، الذي يطالعنا في التراتيل الخاصة بتجسد الكلمة والتي بدقة نالت إسم «الثؤطوكيات»، لأنها خاصة بتمجيد والدة الإله Theotokos وهي الشاهد الحقيقي على الحبل والولادة الناسوتية لابن الله المولود قبل كل الدهور من الآب.

وثانياً: ما يجب أن نراعيه ونعترف به هو قاعدة الإيمان التي تلخص العهد الجديد برمته «هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس...» (قانون الإيمان النيقاوي). هذه العبارة القصيرة التي تؤكد لنا، أن كل ما حدث في حياة الرب كان لأجلنا نحن ولم يكن الرب يسوع محتاجاً إليه، ولا طلبه لأجل حاجة خاصة به، ولذلك تعبر أبصالية الأحد في عبارة موجزة جداً عن حاجتنا نحن البشر ليسوع: «اغرس فيّ ثمرة برّك، يا ربي يسوع أعنّي»، ولعل القارئ والمصلي الذي إستلم الإيمان واختبر حلاوته يرى في ثيؤطوكية الأحد:

١ـ تأكيد التجسد واتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد يسوع المسيح.

٢ـ كيف حقق هذا الاتحاد الحياة؟، وكيف تشهد له حقيقة التجسد التي فاقت كل الرموز القديمة؟. لاحظ دقة الكلمات التي تُمَجَد بها والدة الإله الشاهد الحقيقي على الخلاص:
«أنتِ هي قسط الذهب النقي، المخفي المن في وسطه، خبز الحياة الذي نزل لنا من السماء وأعطى الحياة للعالم.»

والرمز القديم تحقق بصورة فائقة، لأن المن في خيمة الاجتماع لم يحفظ للأكل ولم يكن إلا رمزاً، وهكذا جاء من السماء وأعطى الحياة الدائمة أو الأبدية. ولاحظ أيضاً كيف تحول الرمز إلى حقيقة:
أنتِ المنارة الذهب النقي، الحاملة المصباح المنير (المتقد) كل حين.

الذي هو نور العالم، غير المقترب إليه..

الإله الحق..

لكن هذه الحقيقة العالية الخاصة بطبيعة اللاهوت «النور غير المدنى منه» لا يقف عندها الاعتراف، لأن هذا يعني عودة إلى العهد القديم بل جاء العهد الجديد:
«بظهوره أضاء علينا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت».

ولم يكن هذا مجرد إشراق نوراني مثل ظهورات الله في العهد القديم.
بل:
«وقوَّم أرجلنا إلى طريق السلام بشركة أسراره المقدسة».

لا مجال بالمرة لا للصلاة ولا للتسبيح إذا كانت علاقتنا بالله تقف عند حدود ما جاء به العهد الأول، أي العهد القديم، ولذلك لاحظ أيها القارئ ماذا سوف يضيع منك أنت شخصياً.

«الذي في بطنك يا مريم العذراء أضاء لكل إنسان آت إلى العالم».
ثم لا نقف عند هذا بل:
«لأنه هو شمس البر ولدته وشفانا من خطايانا..»

أخذ الذي لنا حسب كلمات الثيؤطوكية

يوم الجمعة حسب التسليم الأرثوذكسي هو ذكرى صلب المسيح، وتؤكد ذلك أبصالية الجمعة، التي تمزج بين اسم الرب يسوع والصليب لأن حرف X هو أول حرف في اسم المسيح في اليونانية، وهو لذلك يؤكد الصليب حسب الكلمات «هذا هو اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح وصليبه المحيي الذي صلب عليه».

فقد أخذ الرب الذي لنا أي الناسوت، وصلب هذا الناسوت وتأت كلمات الثيؤطوكية التي تؤكد أولاً في القطعة الأولى التجسد، فلا صليب بلا تجسد.
«مباركة أنتِ في النساء.. لأنه قد أشرق لنا منكِ شمس البر والشفاء في جناحيها لأنه **الخالق**».

وتأكيد أن الابن هو خالق الكون، ولهذا السبب عينه هو المخلص. هذا هو التسليم الرسولي الذي نراه في كل العهد الجديد، وبالذات الأصحاح الأول من إنجيل القديس يوحنا.

لكن لاحظ ـ أيها القارئ ـ هذا الإيقاع السماوي:

«الخالق أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له..»

فماذا نفعل نحن؟ نتعظم ونخرج لكي نطلب من الناس السجود!

أبداً...

«نسبحه ونمجده ونزيده علواً (أي نرفعه)».

أخذ الذي لنا من العذراء مريم، وماذا حدث بعد ذلك؟

«إتحدنا به من قبل صلاحه،

لأنه أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له».

لو كان الرب يسوع قد أخذ الناسوت الذي لنا ورد لنا هذا الناسوت فكيف يمكن أن يحدث الاتحاد به..؟، من قبل صلاحه، ليس هو إتحاد حسب الناسوت لأن ذلك يعيد الإنسانية إلى آدم الأول، والرب يسوع ليس آدم الأول بل هو آدم الأخير. وهذا التفسير لا يخضع لرأي أو وجهة نظر جاء بها أحد من الناس، بل هو التعليم الرسولي الذي شرحه الرسول بولس بوفرة، لأننا جميعاً نموت في آدم الأول (١كو ١٥: ٢٢).

ولكن في آدم الأخير:

سيُحيا الجميع... (١كو ١٥: ٢٢).

فالقيامة من الأموات هي التي تجعل الرسول يصف الراقدين "الراقدين" أو "الأموات في المسيح" (١تي٤ : ١٦) ذلك هو الوعد الإلهي الذي نرتله في نهاية قانون الإيمان:

«وننتظر قيامة الأموات...»

لكن ماذا عن الزمان الحاضر؟

تقول القطعة الثالثة:

«الكائن قبل الدهور أتى وتجسد منك

قديم الأيام خرج من بطنك».

وقديم الأيام هو تعبير دانيال النبي، بل هو إسم يهوه في العهد القديم، الذي ترجم أحياناً:

"الأزلي".

هذا إعتراف بلاهوت الرب المتجسد ولذلك يتقدم المرتل ليقول إن قديم الأيام الذي خرج من بطن العذراء:

«هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس».

ولا يقف الاعتراف عند مجرد قبول الروح القدس.

بل:

«وجعلنا واحداً معه من قِبل صلاحه».

وتعبير «جعلنا واحداً معه من قِبل صلاحه..»

لا يجب أن يمر علينا دون تمحيص رسولي، لأنه قوة الكلمة «واحد» أولاً في الأسفار المقدسة هي قاعدة الإيمان الرسولي نفسه، الذي سلمه الرب يسوع المسيح.

"ليكونوا واحداً كما نحن" (يو ١٧: ١١)

"ليكون الجميع واحداً.. ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد"(يو ١٧: ٢١ ـ ٢٢)

لكن الخطأ الشائع عندنا أن الكلام هنا هو على اتحاد الكنائس، كما جرت العادة في أسبوع الصلاة من أجل الوحدة المسيحية، لكن الحقيقة الإلهية هي أكبر من اتحاد الكنائس لأن الوحدة هنا هي على مثال وحدة الثالوث القدوس.

"ليكونوا واحداً ـ كما أننا نحن واحد" (يو ١٧: ٢٢).

وحسب تعليم الرب يسوع نفسه؛ مات الرب على الصليب لكي "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يو ١١: ٥٢). فقد جاءت المصالحة حتى بين اليهود والأمم، وخلق الرب يسوع إنساناً واحداً جديداً في كيانه الإلهي، وجعل الاثنين واحداً (أف ٢: ١٤)، وهو إنسان الخليقة الجديدة، ولذلك فالذين تقدسوا في المسيح هم مع المسيح وبالمسيح واحد (عب ٢: ١١). هذا الواحد يسوع المسيح هو الذي أتى بما هو جديد تماماً على الطبيعة الإنسانية؛ "نعمة الله والعطية التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح" (رو ٥: ١٥) لكن إنكار هذه النعمة وحصرها في شركتنا في ناسوت الرب يسوع فقط، هو خطأ شنيع يقود إلى الكفر بكل ما جاء به الرب، لأن المسيح لا يملك علينا كإنسان، ولاحظ ـ أيها القارئ المقارنة الدقيقة والفرق بين مانحن بصدده وبين العمل المدمر الذي جاء به آدم وهو الخطية:

بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد.	الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.
بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة.	ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.

ولعل الرسول بولس قد رأى بعين النبوة ماذا سيقال في عصرنا هذا، فجاءت كلمات الرسول لكي تؤكد أولاً تجسد الابن "الإنسان الواحد" ثم ألوهيته بعد ذلك حسب كلمات الرسول نفسه:

كما ملكت الخطية في الموت.	هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.
(رو ٥: ١٣ ـ ٢١)	

لأن الواحد هو رب واحد (١كو ٨: ٦، أف ٤: ٥).

وعبارة التسبحة، وجعلنا واحداً معه من قِبل صلاحه، هي صدى لكلمات الرسول بولس نفسه "أما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو ٦: ١٧)، لأن الجسد وحده، حتى جسد الرب يسوع وحده ـ حسب التعليم الخاطئ المعاصر ـ لا يصنع هذه الوحدة، لأن أي **وحدة حسب الجسد تموت بموت الجسد** أما الوحدة حسب الروح القدس ـ لأننا "اعتمدنا إلى جسد واحد... وجميعنا سيقينا روحاً واحداً" (١كو ١٢: ١٣) لأن مصالحتنا مع الله في المسيح التي أزالت العداوة بين الشعوب (أف ٢: ١٦) ـ جعلتنا ليس في مواجهة جسدانية حسب الجسد وتموت بموت الجسد، بل صرنا واحداً في جسد واحد، ويؤكد الرسول بولس أن رأس هذا الجسد هو المسيح. ثم يقول:

"الذي منه كل الجسد بمفاصل ورُبُطٍ متوازراًومقترناً ينمو نمواً من الله" (كو ٢: ١٩).

لقد حفظت لنا التسبحة تعليم الرب، وتسليم الرسل، وتقوى الآباء، وهذه هي كلمات الحياة الأرثوذكسية:

«الجالس على مركبة الشاروبيم والسارافيم يمجدونه،

حملته على ذراعيك،

المعطي طعاماً لكل ذي جسد من قبل رأفته،

مسك ثدييك وأرضعتيه اللبن **لأنه هو إلهنا،**

ومخلص كل أحد ،

هذه هي صدمة وعثرة الإنجيل لعقل الإنسان الرافض لنعمة الله.

الله يرضع اللبن من أمه.

طبعاً كإنسان ولكن ماذا لو فصلنا اللاهوت عن الناسوت؟

الجواب:

هو أننا أنكرنا تنازل ابن الله إلى حقارتنا وفقرنا ـ وبذلك ضاع الإنجيل برمته.

«ثمرة بطنك أتي وخلص المسكونة،

نقض العداوة عنا،

وقرر لنا سلامه،

من قبل صليبه وقيامته رد الإنسان

مرة أخرى إلى الفردوس،

هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له».

(القطعة الخامسة)

هذا هو معنى ذلك التبادل الذي حدث.

أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له حسب تسليم آباء الكنيسة الجامعة.

أولاً: الشهيد أغناطيوس الأنطاكي الثيؤفوروس، أي حامل الإله، والذي يدعو كل مسيحي لأن يكون «حاملاً لله» (الرسالة إلى أفسس ٩: ٢)، لأننا بسبب المسيح نشترك في الله في حياته (الرسالة إلى أفسس ٤: ٢) «ونمتلئ من الله» (الرسالة إلى مفنسيا ١٤: ١).

ثانياً: الشهيد يوستينوس في حواره مع اليهودي تريفو، يؤكد ميلادنا الروحي من الله (فقرة ١٢٣)، وعندما ينكر تريفو عطية البنوة يقدم يوستينوس نص مزمور (٨٢: ٦) أنا قلت أنكم آلهة، مؤكداً تبني الله للبشر (الحوار مع تريفو فقرة ١٢٤)[1].

ثالثاً: الرسالة إلى ايوجنينوس، حيث يعلن كاتب الرسالة وهو ربما العلامة إكليمندس الاسكندري، أن المسيحي دعي لكي يُشبّه بالله بل «أن كل من يحمل أثقال جاره ويصنع الخير... ويحسن إلى المحتاجين ويقدم لهم ما أخذه من الله، يصبح إلهاً لأنه يشبه بالله» (الفقرة ١٠).

رابعاً: القديس ايريناوس (راجع شرح مز ٨٢: ٦)، ولكن الفقرة التي تهمنا هي ما سبق وأكدناه على هذا التبادل الذي سنراه والذي يعرف باسم Tantum – Quantum «صار ابن الله مثلنا لكي يجعلنا نحن مثله» أو إن شئنا الترجمة الحرفية، «صار ابن الله ما نحن لكي نصير نحن ما هو» (مقدمة ضد الهرطقات: ٥)، هذا التبادل يرتكز على حقيقة التعليم الرسولي،

[1] راجع شرح نص مزمور ٨٢: ٦ عند الآباء.

وهو الوساطة، لأن المسيح يسوع ربنا هو الوسيط (١تي ٢: ٥)، فالوسيط «يقدم الله للإنسانية ويعطي الإنسانية التعود لكي تقبل الله» (ضد الهرطقات ٣: ١٨ فقرة ٧ ، ٣: ٢٠ فقرة ٢ ، ٤: ٢٨ فقرة ٢) ولكن أوضح عبارات القديس ايريناوس هي في الفقرة الأولى من الكتاب الثالث فصل ١٩ وسبق وأشرنا إليها. ويؤكد ايريناوس ـ كما يؤكد ذلك أيضاً العلامة اكليمندس الاسكندري ـ أن نعمة التبني في المعمودية، هي نعمة الروح القدس التي تبلغ الموت، (ضد الهرطقات الكتاب الخامس فصل ٥ فقرة ١٥).

خامساً: أبوليدس الروماني، يذكر في كتابه ضد الهرطقات، ضرورة التشبه بالمسيح «المسيح هو الله الكائن على الكل، والذي دبر أن يغسل خطايا البشر، لأنه جعل الإنسان العتيق جديداً عندما دعاه لأن يكون صورة الله، عندما خلقه في البدء، فأعلن بذلك محبته إلينا...، وعندما تعمل وصاياه بكل إتقان وتتشبه بكل ما هو صالح وتتشبه به لأنه هو الصالح، سوف نصبح مثله لأننا نلنا كرامة منه، ولأن الله لم يفتقر عندما يجعلك إلهاً لأجل مجده» (١٠: ٣٤).

سادساً: راجع العلامة اكليمندس.

سابعاً: العلامة أورجينوس الذي شرح مزمور ٨٢: ٦ مثل كل الآباء، (شرح إنجيل يوحنا الكتاب ٢٠ فقرة ٢٩ـ العظات على إنجيل لوقا ٢٩: ٧ ـ مختارات على نبوة حزقيال ١: ٣ وفقرات أخرى كثيرة)[1].

ويحذر العلامة أورجينوس الذين لا يسلكون حسب قداسة المسيح، لأن هؤلاء يرفضون الشركة في اللاهوت، وهؤلاء هم الذين بسبب السلوك الدنس يرفضون التأله (شرح إنجيل متى ١٦: ٢٩).

ولعل القارئ يذكر كيف شرح العلامة أورجينوس الطِلبة الخاصة بالخبز في إنجيل (مت ٦: ١١) لأن الخبز الحقيقي επιουδιος أي الخبز الفائق جوهره يعطي للحياة الروحية القوة الإلهية، ويمنح لمن يتناول «خلود اللوغوس الخاص به، (مقالة الصلاة ٢٧: ٩)، ومن يتناول يصبح حقاً ابن الله (مقالة الصلاة ٢٧ : ١٢) لأن اللوغوس كان مع الله ومن يأكل يتأله» (مقالة الصلاة ٢٧: ١٣).

ثامناً: ديديموس الضرير. كان محظوظاً جداً لأنه انتقل قبل أن يشن أسقف الاسكندرية ثيؤفيلوس الحرب على أورجينوس. يهمنا هنا فقرة خاصة من شرح نبوة النبي زكريا:

«لا يأت إلينا اللوغوس نحن البشر، كما كان يحل في البشر الذين أوصى إليهم الروح بل يسكن فيهم. ولم يأت إلينا ويسكن فينا إلاّ بعد تجسده، عند ذلك دعى البشر آلهة، لأن

---

[1] عظة على اللاويين ٩: ١١ ـ مختارات على المزامير ٢٣: ٦ ـ عظة على ارميا ١٦: ١ ـ ضد كلوس ٨: ٣ ـ ٨: ٧٤ وحوالي ٥٠ فقرة أخرى يضيق المجال هنا عن ذكرها.

الله الكلمة سكن فيهم. وهذا ما يذكره المخلص نفسه عندما يقول للذين وجدوا صعوبة ليقبلوا كلامه، عندما دعى نفسه ابن الله، لأن الكلمات تقول؛" إذا كان قد قال آلهة للذين صارت إليهم كلمة الله، فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، (أي أنا نفسي الذي أتكلم معكم وأذكر لكم هذه الكلمات،) أتقولون أنت تجدف لأنني أنا قلت أنني ابن الله" (يو ١٠: ٣٥ - ٣٦). وكل الذين جاء إليهم الكلمة صاروا آلهة..»[1] (٩٤: ٣٣ - ٩٥).

"الآلهة والأرباب في السماء وعلى الأرض" (١كو ٨: ٥) ليس هم الأوثان ولا حتى الشياطين، بل هؤلاء الآلهة الذين تألهوا بمجيء الكلمة (يو ١٠: ٣٥).. لأن كل الذين جاء الكلمة إليهم من البشر صاروا متألهين... ودعوا آلهة حسب عبارة المزمور "إله الآلهة" أي الله الذي صار إله الذين صاروا آلهة بالشركة. (شرح سفر التكوين ٢٤٨: ٤ - ١٢ - وكتاب الثالوث ٢: ٢٥).

تأصيل الاعتراف بالإيمان في نص التسبحة السنوية:

« أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له »

القاعدة الرسولية الآبائية: مجال الأسفار وهو مجال الإيمان

مجال Scope كلمة يونانية وهي (الرؤيا المتكاملة، التي تَأخذ وتَدرس كل ما تُعلنه الأسفار، ولا تَترُك عبارة أو كلمة إلاّ ودُرست حسب مجال الإيمان)، والعبارة التي كتبت هي التسليم المسيحي، الذي يقدمه القديس أثناسيوس في مجال الدفاع عن الإيمان، وبالتحديد في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين (راجع ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ٥٨). وهذه هي كلمات معلمنا السكندري، وهو يرد على تجاديف الأريوسية التي تختفي وراء عبارات من الأسفار المقدسة، وهي بكل أسف ذات الحيلة والأسلوب الذي نراه عبر كل العصور:

«ما يدّعونه (الأريوسيون) عندما يقتبسون من الأناجيل هو ما يشرحونه شرحاً ملتوياً، ونحن نستطيع أن نرى ذلك إذا أخذنا في الاعتبار **مجال الإيمان**، الذي نتمسك به نحن المسيحيين، لأننا نتمسك بهذه القاعدة التي تشرح ما يعلم به الرسول (بولس) عندما نقرأ الأسفار الموحى بها. أما أعداء المسيح الذين يجهلون هذه القاعدة، أي مجال، فقد ضلوا عن طريق الحق...» (ضد الأريوسيين ٣: ٢٨).

ما هي هذه القاعدة؟ يجيب القديس أثناسيوس:

«والآن إن مجال وطبيعة مجال الأسفار - كما سبق وقلنا من قبل - هي أنه يوجد نوعين من (الإعلانات) عن المخلص: النوع الأول، هو أنه منذ الأزل الله والابن لأنه كلمة

---

[1] راجع أيضاً شرح سفر التكوين ٢٤٧: ٢٤ كما شرح نبوة زكريا ٢٦٧: ٤ - ١٣).

الآب، والشعاع، والحكمة، وأنه بعد ذلك ولأجلنا نحن ـ وهذا هو النوع الثاني ـ أخذ جسداً من العذراء والدة الإله وتأنس. هذا هو المجال الذي يوجد في كل الأسفار الموحى بها، والتي قال عنها الرب نفسه "فتشوا الكتب لأنها تشهد لي..." (يوحنا ٥: ٣٩) (ضد الأريوسيين ٣: ٢٩).

فإذا كانت هذه القاعدة تقدم لنا نوعين من الإعلانات: الأول عن أزلية الابن، والثاني عن تجسده الذي كان دائماً محصوراً في هدف واضح معلن وهو: «لأجلنا نحن البشر»، وهي العبارة التي نجدها في الأسفار وفي كتابات الأباء وفي نص قانون الإيمان النيقاوي. لأجلنا نحن وليس لأجل الآب ولا لأجل الروح القدس وطبعاً ليس لأجل احتياج خاص بالابن نفسه[1].

ماذا حدث لناسوت الرب يسوع الذي أخذه من والدة الإله لأجلنا؟

هل ظل كما هو جسداً مثل أجسادنا لم يأخذ ولم يشترك في لاهوت الكلمة؟ أن من يظن هذا الظن هو في الواقع لا يؤمن بتجسد الكلمة، وبأن ما أخذه الرب يسوع من والدة الإله ظل منفصلاً وغريباً عن لاهوت الابن، وهو جحد كامل وإنكار قاطع وبائن للتجسد.

يرد القديس أثناسيوس على الأريوسيين:

«أخذ الكلمة كل ضعفات الجسد وجعلها له هو، لأن الجسد كان جسده، ولكن الجسد خدم كل أعمال اللاهوت..» (المقالة الثالثة: ٣١).

لكن هل ظلت ضعفات الجسد كما هي؟ الجواب بكل تأكيد لا.

«أما الآن فقد تجسد الكلمة وقَبِل أن يحتوي كل ما للجسد[2]، ولم تعد هذه الضعفات تسود على الجسد، لأن الكلمة جاء وحلّ في جسده، بل أن هذه الضعفات قد أبيدت بواسطة الكلمة، ولم يعد البشر كخطاة وموتى خاضعين لهذه الضعفات، بل أُقيموا بقوة الكلمة لكي يثبتوا في الخلود وعدم الفساد» (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

---

(١) عندما سادت فكرة تقديم الابن ذبيحة لإرضاء الآب أو إحتواء غضب الآب أو.. فقدت القاعدة الرسولية معناها وهي إن ما حدث في التجسد والموت والقيامة كان لأجلنا وضاع هدف الخلاص وهو الإنسان لأن المسيح لم يأت لكي يخلص الآب بل البشر.

(٢) هكذا يجب أن نترجم الكلمة اليونانية ιδιοποιουμενου والتي وردت أيضاً في تجسد الكلمة (فصل ٨) لأنها ليست قبولاً عقلياً في فكر الرب بل الاحتواء التام لكل ما يخص الجسد

هذا هو معنى أخذ الذي لنا ، الضعيف، الميت، الفاسد، لكي يحوله في كيانه إلى، الحي، الخالد، عديم الفساد. وليست عبارة القديس أثناسيوس عبارة شاردة، بل هي الإيمان المسيحي الأرثوذكسي الذي بشّر به الرسل والآباء.

ولاحظ أيها القارئ ماذا يقول القديس أثناسيوس بعد ذلك:

«ولذلك فالجسد الذي ولد من مريم والدة الإله، جعل الكلمة نفسه يولد، رغم أنه هو الذي يهب لكل كائن بداية وجودهم، ولكنه ولد لكي ينقل بداية وجودنا إلى ذاته، لكي لا نبقى بعد مجرد ترابيين نعود إلى التراب، بل نقلنا إلى الكلمة الذي من السماء، لكي يحملنا هو إلى السماء.

أليس هذا هو ما تعلنه عبارة التسبحة السنوية؟ بكل يقين نعم.

ثم ماذا بعد ذلك؟

يضيف القديس أثناسيوس:

«لذلك السبب تجسد، وليس بدون هدف، أنه نقل إلى كيانه (ذاته) باقي ضعفات الجسد أيضاً، لكي لا نبقى كما نحن كبشر بل كشركاء[1] الكلمة نشترك في الحياة الأبدية، لأننا لا نبقى حسب أصلنا الأول في آدم ونموت (مثل آدم)، بل لأن أصلنا Origin وكل ضعفات الجسد قد نقلت إلى الكلمة ؛ نقوم من التراب، لأن اللعنة قد رفعت مع الخطية بسبب من هو فينا (الكلمة)، والذي صار لعنة لأجلنا، ولأننا جميعاً من التراب ونموت في آدم، لكن بعد أن نولد من جديد من فوق من الماء والروح، وفي المسيح نقوم، لم يعد الجسد ترابياً بل إشترك في الكلمة[2]، لأن الله الكلمة لأجلنا تجسد» (ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

جاء التجسد **بثبات النعمة** لأن الرأس الأول آدم سقط وبدد النعمة، أما الرأس الجديد يسوع آدم الأخير:

«ما يناله البشر هو قابل للضياع ـ كما حدث مع آدم لأنه أخذ نعمة وأضاعها، ولكن لكي تبقى النعمة ولا تضيع بل أن تُحفظ لنا ثابتة، نال (الكلمة) وحفظ النعمة، وأيضاً لذلك قال أنه نال "قوة" كإنسان (آدم الأخير) مع أن هذه القوة هي له منذ الأزل لأنه الله...» (ضد الأريوسيين ٣: ٣٨).

لقد أخذ هو لكي نأخذ نحن منه القيامة.

---

[1] الترجمة الإنجليزية ص ٤١٢ تحتاج إلى تصحيح.

[2] من الصعب ترجمة الكلمة اليونانية في أصل العبارة λογωθειδης της δαρκος

«كان من المستحيل على الإنسان أن يقهر الموت، ولكن لأن الكلمة هو الله، وتجسد ومات بالجسد أحيا كل البشر بقوته»(ضد الأريوسيين ١: ٤٤).

تأمل هذا التبادل بين ما نحن فيه وعليه، وما فعله الكلمة المتجسد:

لقد نزل ،
لكي يقيمنا (يرفعنا) نحن ،
أخذ تواضع الميلاد ،
لكي نحبه هو كإله ،
نزل إلى الفساد ،
لكي يلبس الفاسد الخلود ،
صار لأجلنا ضعيفاً ،
لكي نقوم نحن بقوة ،
نزل إلى الموت ،
لكي يمنحنا الخلود ،
ويعطي حياة للموتى ،
وأخيراً ،
لقد تأنس ،
لكي نحن البشر لا نموت كبشر بل نحيا ،
ولكي لا يسود علينا الموت ،
هذا ما تعلنه الكلمات الرسولية: الموت لن يسود عليكم.

(رو ٦: ٩ ـ ١٤)... (رسالة ١٠ عيد القيامة عام ٣٣٨).

وفي الرسالة إلى أدلفوس (فقرة ١٠).

« لم يعد الجسد ميتاً ،
صار خالداً ،
كان جسداً حياً (حيوانياً) ،
صار روحياً ،
رغم أنه من التراب ،

إلا أنه دخل من أبواب السماء ».

وفي المقالة الرابعة[1] ضد الأريوسيين: ٧

« لقد صلى لأجلنا ،
أخذ الذي لنا وأعطانا ما أخذ ».

تحذير من القديس كيرلس عمود الدين

يحذرنا معلمنا السكندري من أن نجعل النعمة شيئاً لا وجود له، أي مجرد فكرة في عقل المؤمن، ولكن النعمة هي العلاقة الخاصة التي أخذناها من الذي أخذ الذي لنا :

«لقد دعينا حقاً "هيكل الله" وأيضاً "آلهة" لماذا ؟ علينا أن نسأل الذي يخاصمنا هل نحن حقاً ننال نعمة عارية (مجرد فكرة) بلا جوهر؟، هذا ليس هو ما نؤمن به. نحن هياكل الروح الكائن الذي له كيان، لأننا بواسطة الروح دعينا "آلهة"، لأن بإتحادنا به صرنا شركاء الطبيعة الإلهية الفائقة» (٢بطرس ١: ١٤). (حوار عن الثالوث ٧: ٦٣٩).

هذا التحذير ذو دلالة خطيرة لأننا إن لم نقبل أننا أخذنا من الرب بذات الدلالة التي نسبِّح بها في عبارة التسبحة السنوية:

أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له...،

تحولت علاقتنا بالمسيح إلى:

١ـ علاقة عقلية فقط، وهي عبارة عن أفكار وكلمات في عقولنا ليس لها أي وجود خارج عقولنا...

٢ـ تحولت النعمة إلى علاقة أخلاقية خارجية ـ وهي النغمة السائدة الآن ـ في عظات وكتب تحاول أن تنال شرعية من أسماء ووظائف الذين ينشرونها والذين يحرصون على مهاجمة الآباء.

٣ـ أنكرنا حقيقة التجسد.

٤ـ هدمنا السرار.

[1] كعادة أساتذة التاريخ في جامعات الغرب يشقون بطون الوثائق التاريخية بحثاً عن نظريات تعطي لهم مكانة علمية ولذلك رفض بعضهم أن تكون المقالة الرابعة ضد الأريوسيين من قلم أثناسيوس الرسولي ولم يرفض أحد أصلها السكندري.

القديس كيرلس السكندري وعبارة التسبحة

«هل سمعتم كيف صار كلمة الله الابن الوحيد مثلنا، حتى نصير نحن أيضاً مثله، حسبما تحتمل الطبيعة البشرية وبالقدر الذي تعلنه النعمة التي تجدد..»

لقد تواضع هو ،
لكي نرتفع نحن ،
تواضع إلى طبيعتنا ،
لكي نرتفع إلى مقامه ،
أخذ صورة العبد رغم أنه الرب والابن ،
لكي يحول ما هو مستعبد بالطبيعة ،
إلى مجد التبني ،
حسب صورته ،
لذلك ،
صار مثلنا ،
أي تأنس ،
لكي نصبح نحن مثله ،
وأنا أقصد آلهة وأبناء ،
لقد قبِل أن يأخذ ما لنا ،
وجعله خاصاً به ،
لكي يعطي لنا في المقابل ما يخصه هو».

(شرح إنجيل يوحنا ١٢: ١ النص اليوناني عامود ١٠٨٨).

تحذير آخر

وفي المقالة الثالثة ضد نسطور، يحذرنا القديس كيرلس عمود الدين من أي تصور أو خيال جامح يتصور أن الشركة في الطبيعة الإلهية، هي تحول ما هو مخلوق إلى الخالق فيقول:

«لم يحول الابن ما هو دون وخاص بالمخلوقات إلى طبيعته الإلهية، بل يختم بأسلوب سرّي شركاء الطبيعة الإلهية بالشركة في الروح القدس، وبالتشبه الروحي به، وبجمال اللاهوت الفائق ينير نفوس القديسين».

(ضد نسطور ٣: ٢ ـ النص اليوناني).

وما أعظم الفرق بين آدم الأول وآدم الأخير، وهو التعليم الرسولي الذي وضع أساسه الرسول بولس عن الرب يسوع نفسه. ونكتفي بفقرة هامة للقديس كيرلس عمود الدين، لعل الذين يقاومون الأرثوذكسية يدركون أنهم يحاولون إرجاعنا إلى آدم الأول بإنكار الشركة في الطبيعة الإلهية، وإذا رجعنا فقد خسرنا كل شيء:

«ما هي صورة أبوينا الأولين (آدم وحواء)؟ إنها صورة الميل (الانعطاف) إلى الخطية والاستعباد للموت والفساد. وما هي صورة الإنسان السمائي؟ إنها صورة الذي لم يُغلب بالشهوات مهما كانت وبأي وسيلة، هي صورة لا تعرف التعدي، وحرة تماماً من الاستعباد (الخضوع) للموت والفساد، صورة القداسة والبر، وصورة الذي صار الأخ البكر لكل الذين يتشبهون به، ولذلك أقرر هنا أن هذه الصفات العالية قد إحتوتها الطبيعة الإلهية عديمة الفساد، لأن القداسة والبر أعظم وأعلى من الخطية والفساد. والكلمة الذي من الله يضمّنا إلى هذا، لأنه يجعلنا شركاء طبيعته الإلهية (بواسطته) بالروح القدس» (ضد نسطور ٣: ٢).

ولعل عبارة القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات تكفي، وهي عبارة شَعَر المُترجم الإنجليزي في مجلد، أباء ما بعد نيقية، بأنها أكثر من اعتقاده الشخصي فخرج على النص اليوناني:

« لنصبح مثل المسيح، لأن المسيح صار مثلنا، لنصبح آلهة لأجله، لأنه صار إنساناً لأجلنا » (المقالة اللاهوتية الأولى: ٥).

ونرى صدى عبارة التسبحة السنوية في المقالة السابعة فقرة ٢٣

«ما هو هذا السر الذي يخصني ؟

أنا صغير وعظيم ،

حقير وكريم ،

مائت وخالد ،

ترابي وسمائي ،

أنا أشترك بصورة واحدة مع العالم المخلوق (السفلي) ،

وبصورة أخرى مع الله ،

واحد حسب الجسد ،

آخر بالروح ،

يجب أن أدفن مع المسيح لكي أقوم مع المسيح ،

أن أصبح شريكاً وارثاً مع المسيح ،

أن أصبح ابن الله ،

أن أصبح أنا نفسي إلهاً »

(راجع أيضاً المقالة اللاهوتية ١٤: فقرة ٢٣).

وصدى عبارة التسبحة السنوية نقرأه بدقة عند القديس هيلاريون المعروف باسم «أثناسيوس الغرب» (٣١٥ ـ ٣٦٧) :

« لقد أخلى ذاته من صورة الله، وأخذ صورة العبد والضعف الذي أخذه حسب الطبيعة الإنسانية، لم يسبب أي ضعف لطبيعته الإلهية، لكن قوته الإلهية أعطيت للإنسانية، لأن الوهيته لم تُفقد عندما أخذ شكل العبد. وعندما تجسد الله وولد كإنسان لم يكن غاية التجسد أن يتلاشى اللاهوت، بل أن يبقى اللاهوت كما هو حتى يولد الإنسان (من جديد) ليكون إلهاً »

(الثالوث ١٠: ٧).

ويعيد القديس هيلاريون عبارة الرسول بولس في فيلبي ٣: ١٢:

"لكي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع" فيكتب:

« لأن الله ولد كإنسان، وأدركنا نحن بواسطة الطبيعة الإنسانية، ورغم أن لاهوته من طبيعة تختلف عن طبيعتنا، إلاّ أنه أخذ الذي لنا لكي يعطي لنا الفرصة لكي نأخذ ما له هو الآن، ولكي نسرع لكي ننال المجد الذي أزال به الفساد الذي حل بطبيعتنا. ونحن سوف ندرك ذاك الذي قدم لنا، وندرك الذي لأجله أدركنا هو، أي طبيعة الله لأن الله أخذ (أدرك) طبيعة الإنسان.

Si naturan dec consequamur, deo ante naturan homnum censequente

(شرح مزمور ٢: ٢٧ مجلد ٩: عامود ٢٩٠).

هذه شركة حسب النعمة ـ كما يؤكد كل الآباء ـ وكما يقول مارافرام السرياني (أناشيد على الإيمان ٢٩: ١). وفي نشيد رقيق برقة الشاعر:

« سوف تعلو أجسادنا إلى مرتبة نفوسنا ،

ونفوسنا إلى مرتبة الروح ،

أما الروح فسوف ترتفع وتحلق في مجد الله »

(أناشيد على اللؤلؤة ٩: ٢١)

ويردد مار فلسكيتوس أسقف منبج عبارة التسبحة السنوية « صار الله ابن الإنسان لكي يجعل البشر آلهة » (ميمر ٣: ٥٩٧ طبعة الأب بيدجان)، وفي الطلبة السريانية Fenqitho تصلي الكنيسة السريانية الأرثوذكسية:

« صار جسدك الإلهي ميناء الحياة ،

وألّهت كل طبيعتنا ،

لكي لا تُغْوَى مرة ثانية بالفساد والموت ».

وتردد الكنيسة الكاثوليكية ذات الطلبة الخاصة بصلاة عيد الميلاد « يا الله الآب، إن طبيعتنا هي عمل يديك العجيب، وصارت عجيبة بشكل فائق بعمل الفداء.
لقد أخذ ابنك طبيعتنا لكي تمنحنا نصيباً في ألوهية يسوع المسيح، الذي هو حي ويملك معك بالروح القدس الله إلى الأبد..»

الخاتمة

كانت هذه المسيرة الطويلة من العهد القديم إلى العهد الجديد، ومن الرب يسوع إلى الرسل والآباء القديسين، من أجل تأصيل النعمة، نعمة البنوة ـ حياة الخلود ـ مجد القيامة ـ عدم الفساد ـ وراثة ملكوت السموات، ومن أجل وعد الرب يسوع المسيح:

"من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي،

كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه،

من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس" (رؤ ٣: ٢١).

الملحق الأول

إعتراضات عامة

من العبارات المأثورة لأرسطو شيخ فلاسفة اليونان أن نقطة البداية ليست دائماً فلسفية.

والبداية هنا هي:

- **اغتراب وغربة تنفي كل شيء، ونقطة البداية هي: تحذير يعتمد على الخوف والجهل الذي ينكر ويتجاهل ما نُشر من مجلدات كتابات آباء الكنيسة الأبرار، والتي لا توجد بين يدي القارئ العادي** الذي لا يملك سوى رغيف الخبز. وهم حسب دراسات معاهد ومراكز التنمية يشكلون ٨٨٪ من مجموع سكان مصر. وهم بالتالي الأغلبية السلحقة من الأقباط الذين لا يعرفون سوى اللغة العربية وبعض كلمات قبطية يسمعونها في الصلوات.

- تجاهل لما دُرّس ونُشر في القرن العشرين والواحد والعشرين من معاهد اللاهوت الأرثوذكسية بلغات أوروبية حديثة، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية حول **الشركة في اللاهوت.**

- غياب تام لكل من درس في بعض هذه المعاهد أو جامعات أوروبا من خريجي الكلية الإكليريكية، أو وجودهم تحت حزام الفقر والسعي للبقاء في التدريس من أجل لقمة العيش، والإبتعاد تماماً عن كل حوار، مهما كان، خوفاً من التصادم أو الاتهام بالهرطقة قد يؤدي لفقدان مصدر الرزق.

- حالة الخوف لدى القارئ الذي يقرأ تحذيراً بأن الشركة في الطبيعة الإلهية هي تأليه الإنسان، بمعنى: « أن يتصف الإنسان بالصفات الإلهية »، والتأكيد بأن هذه الصفات «أن يصير الإنسان إلهاً غير محدود.. مالئ السموات والأرض، وأن يكون فاحصاً للقلوب والأفكار وعارفاً بالخطايا، وموجوداً في كل مكان، وصانعاً للعجائب بقوته الخاصة ». وأيضاً.. « ومعنى كونه إلهاً أن يكون قدوساً معصوماً من الخطأ... وتأليه الإنسان ينفي أن يكون مخلوقاً بل الإله الأزلي لا بداية له.. ومعنى كون الإنسان إلهاً إنه لا يموت ».

- ثم التحذير « فمن ذا الذي يجرؤ أن ينسب إلى الإنسان كل هذه الصفات..؟ ».وبعد أن يقرأ القارئ الذي لا يعرف تعاليم الآباء، ولم يدرس الكتاب المقدس هذه التحذيرات، لابد وأن يغرق في بركة من الخوف ومستنقع من الشك، لكي يصرخ بأنه لابد له أن يحفظ ما تبقَى له من الآدمية أو الإنسانية.

- ولكي نعيد الاتزان إلى ذهن القارئ نقول رداً على هذه المخاوف:

من الذي قال بأن الإنسان يتحول إلى إله يملأ السموات والأرض ويوجد في كل مكان؟

الجواب: لا أحد .. حتى أوطاخي الهرطوقي الذي حُكم عليه بالهرطقة وأعاده القديس ديوسقوروس بحسن نية. وعبارة أوطاخي هي: « ذاب الناسوت في اللاهوت مثل نقطة عسل في بحر من الماء ». وكلام أوطاخي خاص بالرب يسوع.

ومن الذي قال أن الإنسان يصير فاحصاً للقلوب والأفكار؟ ! لا أحد..

ولكن هذا الخطاب التحذيري ينسى أن فحص القلوب والأفكار هو أحد مواهب الروح القدس التي ظهرت في أشهر وقائع الكنيسة الرسولية، عندما علم القديس بطرس الرسول بأن حنانيا وسفيرة قد اختلسا من ثمن الحقل (أع ص ٥)، وظهرت في حياة نُساك مصر، بل وبعض المعاصرين لنا مثل قداسة البابا كيرلس السادس وغيره من الآباء. ولكن فحص القلوب والأفكار، وهو أحد مواهب الروح القدس، يؤكد شركة الإنسان في قوات الدهر الآتي ونوال عطايا الروح في ١كو أصحاحات ١٢ ، ١٤، بل ويحذر الرسول الذين "ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤) عن الارتداد عن الإيمان لأن توبتهم صعبة جداً.

فمن الذي قال أن الشركة في الطبيعة الإلهية تجعل الإنسان موجوداً في كل مكان، وصانعاً للعجائب بقوته الخاصة. من الذي قال هذا القول الشرير؟ لا أحد.

يذكر سفر أعمال الرسل أن ظل القديس بطرس كان يشفي الأمراض (أع ٥: ١٥)، ومع ذلك لم يقل سفر الأعمال أن هذا كان بقوة بطرس الرسول الخاصة. بل إن بطرس الرسول نفسه قال لليهود الذين تجمهروا مندهشين من المعجزة التي صنعها الرسولان بطرس ويوحنا: "ما بالكمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذا، ولماذا تشخصون إلينا **كأننا بقوّتِنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يَمْشِي**؟ إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب إله آبَائنا مجّد فتاهُ يسوع... **وبالإيمان باسْمِهِ شدَّدَ اسْمُه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه والإيمان الذي بواسِطتِهِ أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم**" (أع ٤: ١٢ - ١٦).

من الذي قال بأن الإنسان يصبح قدوساً معصوماً من الخطأ ؟.. لا أحد بالمرة، لأننا نعلم جميعاً حالتنا. ولكن تبقى نقطة جوهرية تدخل في صميم عمل الروح القدس والشركة في طبيعة

الرب يسوع.. يقول الرسول : "هذه هي إرادة الله قداستكم" (أف ٤: ٣). هذه الدعوة الإلهية خاصة بنا جميعاً فهي "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٤: ٢٤).

ولكن بعد ذلك يحذرنا الرسول "لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣٠). وأيضاً أن نحفظ التقديس (١بط ١: ١٥) لأننا هيكل الله الذي قدس بالروح القدس (١كو ٣: ١٧)، بل يؤكد الرسول أننا بإرادة الله نفسه وبموت ربنا يسوع المسيح على الصليب قد تقدسنا (عب ١٠: ١٠) وأننا "بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عب ١٠: ١٤).

من الذي قال أن تأليه الإنسان ينفي أن يكون الإنسان مخلوقاً ؟ لا أحد بالمرة عبر التاريخ المسيحي. هذا القول صادر عن خوف لا عن إيمان، لأننا نقول في قانون الإيمان وفي كل صلواتنا نحن خُلقنا حينما نقول، « نؤمن بإله واحد.. خالق السموات والأرض». وفي كل مرة نصلي نؤكد أننا خُلقنا بيد الله، وسقطنا بغواية الحية، فطردنا من فردوس النعيم.

والقول بأن الإنسان إذا اشترك في اللاهوت يصبح إلهاً لا يموت. هذا كلام لم يقل به أحد بالمرة، لأن الإله المتجسد نفسه ذاق الموت بالجسد. نقرأ في كل صلواتنا أن المسيح جاء لكي يمنع الموت عنا : "وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو١١: ٢٦)، والكلام هنا عن الموت الروحي الذي لن نذوقه لأن الرب "ذاق الموت بالجسد" لأنه "ذاق الموت بنعمة الله لأجل كل واحد" (عب ٢: ٩)، وأبطل الموت وأنار الحياة والخلود بالبشارة أو بالإنجيل (٢تي ١: ١٠)، فلم يعد للموت علينا سلطان. وفي تاريخ الكنيسة لم يكن هذا المزج الغريب بين الموت البيولوجي وبين موت الخطية، وبين الموت الروحي وبين الموت مع المسيح والقيامة مع المسيح التي هي شركتنا في خلود الرب يسوع المسيح نفسه.

ولم نعرف لماذا المزج بين كلمة آرامية وهي «الأزل» وكلمة عربية «الأبد» وكلاهما يحمل ذات المعنى. ماذا حدث للحياة الأبدية؟ هل لنا هذه الحياة، أم أنها خرافة؟.. هل نحن نشترك في حياة الله الأبدية أم نظل نحيا حياة بيولوجية بعد القيامة حسب الاعتقاد الوثني المصري القديم؟.

لقد تجسد الكلمة ومات وقام وصعد إلى السموات، وفي كل عمل من أعمال الله ننال نحن البشر نعمة جديدة... ونعود إلى التحذير الأخير... فمن الذي يجرؤ أن ينسب إلى الإنسان كل هذه الصفات؟ ومن الذي ينكر أن الإنسان: صورة الله.. هيكل الروح القدس.. مقدس وقديس.. حي إلى الأبد بنعمة يسوع المسيح "هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣).

عبرة الصمت وخطورة الخوف:

قد يكون صمت الدارسين عبرة لمن يتكلم بما هو غريب عن التاريخ والنسك الأرثوذكسي، والتسليم الرسولي المدوَّن في تعليم الآباء.

تأمل أيها القارئ هذه العبارات: «**لذلك محال أن أحد الآباء نادى بهذا التأله**» (يقصد التأله الأوطاخي).. نعم هذا غريب تماماً عن تراثنا.. التأله الذي يُحَارب هوالذي يحمل صفات لم يذكرها أحد بالمرة (غير المحدود ـ مالئ السموات والأرض ـ فاحص القلوب والأفكار ـ عارف بالخطايا ـ صانع العجائب ـ قدوساً معصوماً من الخطأ ـ أزلي بلا بداية ـ حي لا يموت....) صفات يمكن أن يتصورها إنسان إذا كان في عزلة تامة عن التقليد الآبائي، أو حتى لم يفتح قاموس أرثوذكسي يوناني ـ إنجليزي ـ فرنسي، أو حتى اطلع على شبكة الإنترنت على مراجع ومقالات كتبها الأرثوذكس[١] تحت كلمة واردة هي **Deification** أو **Theosis**، وكلها تدور حول ما جاء في كتابات الآباء عن الشركة في الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٤)، بل وفي المجلد الذي يشمل ثلثي مؤلفات القديس أثناسيوس والتي نشرتها جامعة أوكسفورد، وأُعيد طبعها عدة مرات، يستطيع القارئ أن يعود إلى آخر طبعة، (المجلد ٤) التي نُشرت في**U.S.A** [٢].

ولكن صمت الدارسين لا يشفي الخوف. وخطورة الخوف هي في هدم أحد أركان الإيمان الأرثوذكسي. أن نخاف من الإله المتجسد، وأن نرفض الشركة في حياته، وأن نمنع كل من يريد أن يردد أبسط عبارة أرثوذكسية في أوشية الإنجيل «**لأنك أنت هو حياتنا وقيامتنا كلنا**»، فالمسيح حياتنا الآن وإلى الأبد... ومهما كانت صعوبات هذا الزمان « **الآن** » فهي ليست شيئاً إذا قيست بالمجد الذي سوف نناله في الدهر الآتي.. مجد الحياة الأبدية مع المسيح.

لكن إذا رفضنا المسيح خوفاً من الثقافة السائدة، وخوفاً من الشرك، وخوفاً من نوال هبة الحياة الأبدية ؛

وإذا رفضنا التأله الذي ينكر ما تناله الطبيعة الإنسانية في المسيح ؛

وإذا رفضنا التأله الذي بَشَّرنا به الوحي، وما شرحه الآباء وليس الذي هو غريب عن الأرثوذكسية ولا ينتمي أصلاً إلى المسيحية ؛

وإذا رفضنا هذه البشارة الإنجيلية، والعقيدة الرسولية الآبائية، ففي هذا الرفض يكمن إنكار تجسد رب المجد الذي مُجِّدنا فيه، وجعلنا نشترك في قداسته هو (عب ١٢: ١٠)، وليس في أي قداسة أخرى من عندنا أو من مخيلتنا، لأننا بدون قداسته نبقى في الموت والخطية.

---

[١] حتى الكاثوليك والبروتستانت في كل أصقاع الدنيا بدأوا يتقربون من عقيدة الآباء الأرثوذكس عن الشركة في الطبيعة الإلهية

[٢] الطبعة الرابعة ٢٠٠٤ ص ٥٨٩ حيث شرح معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي نص الرسول بطرس على صفحات ٢١٥ ـ ٣١٦ ـ ٥٧٢ ـ ٥٧٦. وعبارات "الشركة في الطبيعة الإلهية" و "التأليه" وردت في قاموس المصطلحات اليونانية الخاصة بالآباء عامود ٦٤٩ ـ ٦٥٠ تحت كلمة Θεωσις واسم القاموس:.C.W. Lampe, A Patristic Greek Lexicon, 1981 وننشر أسماء هذه المراجع ليراجع القراء ويقف على الحقيقة بنفسه.

الملحق الثاني

الشركة في الطبيعة الإلهية
ومذهب وحدة الوجود

لعل القارئ لا يعرف أن مذهب وحدة الوجود هـو اعتقـاد فلسـفي دافـع عنـه الفيلسـوف الأوربي اسبينوزا Spinoza في كتابه «الأخلاقيات» الذي نشر عام ١٦٧٥، ولكن فلاسفة أوروبا سخروا من شرح اسبينوزا، شوبنهور Schopenhaur وكولدرج Coleridge وغيره.

هذا التعليم ينادي «بأن كل شيء الله ، هو كل شيء ، وأن الله والعـالم همـا حقيقـة واحـدة وكيان واحد[1]» . ماذا ينكر:

١ـ الخلق من العدم.

٢ـ تجسد ابن الله نفسه.

٣ـ تجاهل مشكلة الشر.

٤ـ تجديد الخليقة الخاضعة للفساد والموت بواسطةالابن وبالروح القدس.

٥ـ يجعل الخلود وعدم الموت شيئاً طبيعياً ، حتى الأنهار والكلاب والأشجار خالدة لا تمـوت وبالتالي ينكر نعمة الحياة الأبدية.

التصادم الحقيقي بين مذهب وحدة الوجود والشركة في الطبيعة الإلهية:

لعل القارئ أدرك أن المذهب وأي مذهب، لا يبدأ بالخلق من العدم ، يفقـد مصـداقيتة تجـاه النقاط الست التي ذكرناها الآن. لكن هذا لا يكفـي لأن الـرب ، ابـن الآب الكلمة ، تجسـد

(1) Standard Encyclopedia of Philosoph, Pantheism
يمكن مراجعة هذه المقالة الجيدة في الإنترنت.

صار إنساناً مثلنا ـ بلا خطية ـ وهذا وحده يكفي لأن يشرح لنا لماذا يخلو هذا الإدعاء من شذرة، ولو مثل نقطة ماء ، من الحقيقة للأسباب التالية:

١ـ إذا كان الله والعالم كيان واحد ، أصبح التجسد غير ضروري وبلا غاية ، لأن البشر جميعاً هم كيان واحد مع الله.

٢ـ إذا كان الله والعالم كيان واحد ، فلا داعي بالمرة لموت الرب يسوع بالجسد لكي يحرر الجسد من الفساد والموت ، بل لا داعي بالمرة للقيامة التي فتحت باب الخلود .

٣ـ إذا كان الله والعالم كيان واحد ، فكأن المتجسد ، أي ابن الله ، لم يتجسد بالمرة لأن كيانه هو ذات كيان كل إنسان.

ويصطدم مذهب وحدة الوجود مع الصلاة ، لأن الصلاة هي حديث شخصي وصلة وشركة مع الله ، فإذا كان الله والعالم كياناً واحداً أصبحت العبادة بكل أنواعها باطلة.

ويصطدم مع صَلب الرب يسوع المسيح للأسباب التالية:

١ـ الكيان الواحد لله والعالم ، لا يحتاج إلى فداء .

٢ـ الكيان الواحد لله والعالم ، لا يستدعي بالمرة حتى كلام أو حديث عن الغفران .

٣ـ الكيان الواحد لله والعالم ، لا يستدعي بالمرة إبادة الموت على الصليب.

ويصطدم مع قيامة الرب يسوع للأسباب التالية :

١ـ أعطت القيامة الخلود وعدم الموت للجسد بينما هو في الواقع حسب المذهب جزء من الله ولا يحتاج إلى عطية الخلود وعدم الموت.

٢ـ مَنحت القيامة ليس فقط عدم الموت والفساد بل الخلود في السماء، ونقلت الإنسان من حياة أرضية ترابية إلى حياة إلهية في شركة مع الثالوث.

وما أكثر نقاط التصادم مثل يوم الدينونة وحساب الأبرار والأشرار ونار جهنم... الخ.

مذهب وحدة الوجود والشركة في الطبيعة الإلهية

جاء الادعاء بأن الشركة في الطبيعة الإلهية تعني إزالة الفوارق بين الخالق والمخلوق من تصور أوطاخي (راجع الملحق الأول) مطلق ، بل أكثر تطرف من أوطاخي نفسه ، لأن حتى الفعل يؤله يعني بقاء الإنسان إنساناً. ولعل الادعاء أغفل ،في سرعة ،حقيقة التجسد التي تقال في كل صلواتنا لاسيما في التسبحة السنوية ، والقداسات ، وتعليم الآباء وهي:

١ـ المسيح واحد من اثنين لاهوت مساوي للآب وناسوت مساوي لنا حسب التدبير.

٢ـ الاتحاد هو بلا اختلاط وبلا امتزاج وبلا تغيير.

ولذلك ظل ناسوت الرب كما هو ناسوتاً يُعطى مع كيانه الإلهي الواحد «غير المنقسم من بعد الاتحاد إلى اثنين» في سر الشكر. ولذلك أيضاً قام الرب يسوع من القبر وصعد بناسوته إلى السماء. فإذا كان الناسوت ظل ناسوتاً رغم شركته الكاملة في كل مجد وقوة وحياة اللاهوت...، فكيف يمكن لنا أن ندوس على التعليم الأرثوذكسي ونقول أن الشركة تعني تحول الإنسان إلى إله مثل الله ـ موجود في كل مكان ـ قادر على كل شيء... الخ ؟.

جاء الادعاء من فراغ حقيقي ظاهر للعيان ، وهو أنه في كل صلواتنا نطلب «غفران خطايانا»، وكل مرد للشعب «يارب ارحم»، هذه التقوى الأرثوذكسية قال عنها واحد من عمالقة هذا الجيل (رقد بسلام في الرب) : «تؤكد لنا محبة الله وتواضعه التي يجب أن تقابل بالمثل».

اعتراض على الاعتراض

ماذا نقول لصاحب الاعتراض ، نقول له في محبة الرب يسوع ، أن الادعاء خطير جداً ، لأنه ينطوي على إنكار خفي لسكنى روح الله فينا. الروح المعزي الذي نطلبه في كل صلواتنا ، والذي يجب أن يسكن في الخطاة بسبب وساطة المسيح ، لأن سكنى الروح القدس هي أساس الشركة في الطبيعة الإلهية . ولو كانت الشركة تعني وحدة الوجود ، فماذا نفعل بالصلوات التي نستدعي فيها الروح القدس ؟.

أخيراً

نقول ، بوجه عام ، أن الاسقف يستمد شرعية وجوده من التاريخ الكنسي، ويستمد صلاحية خدمته من التعليم الرسولي والآبائي، الذي يجعله يقف في صف واحد مع الثالوث القدوس، الاثنى عشر رسولاً ، مارمرقس و الآباء.

ويبقى الأسقف الآب الروحي القديس ، الذي يتعلم أول درس في الحياة المسيحية وهو الغفران ومحبة الأعداء وحفظ التعليم نقياً «مفصلاً كلمة الله بإستقامة أرثوذكسية» ، حتى تُبنى وحدة الكنيسة ، وتُحفظ وحدانيةالجسد الواحد.

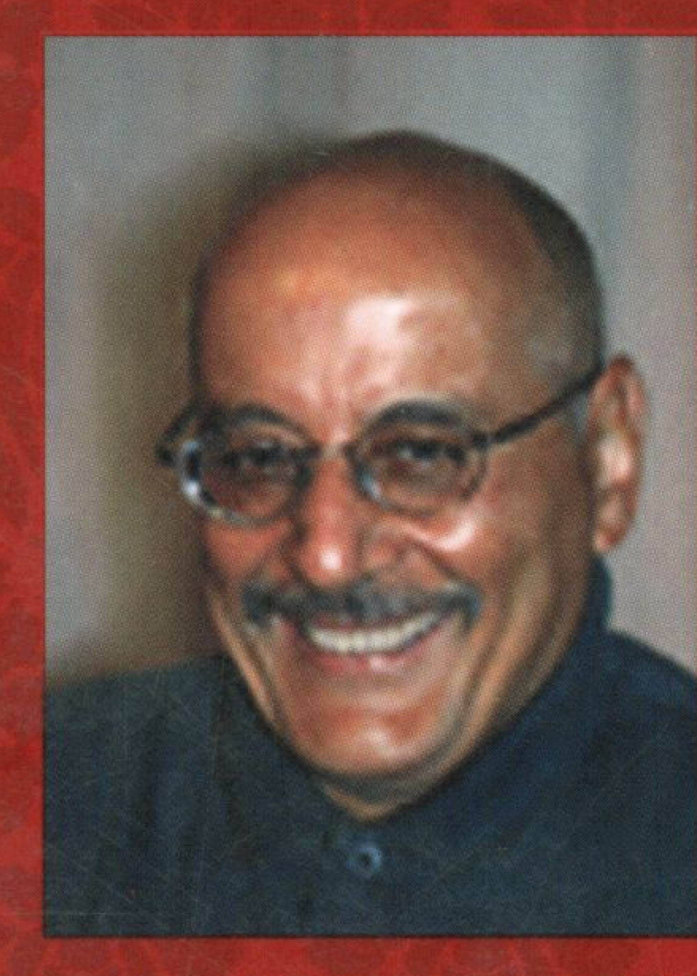
"طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف" (رؤ ١٩: ٩).

"هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم ، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم . وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد . ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد ، لأن الأمور الأولى قد مضت" (رؤ ٢١: ٣ ـ ٤). أليست هذه الصورة السمائية للشركة في الطبيعة الإلهية التي تقول لنا أننا سوف نبقى تحت سلطان الرب

يسوع ، لأن خاتمة هذا الوعد تقول "وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديـداً.. هذه الأقوال صادقة وأمينة" (رؤ ٢١: ٥).

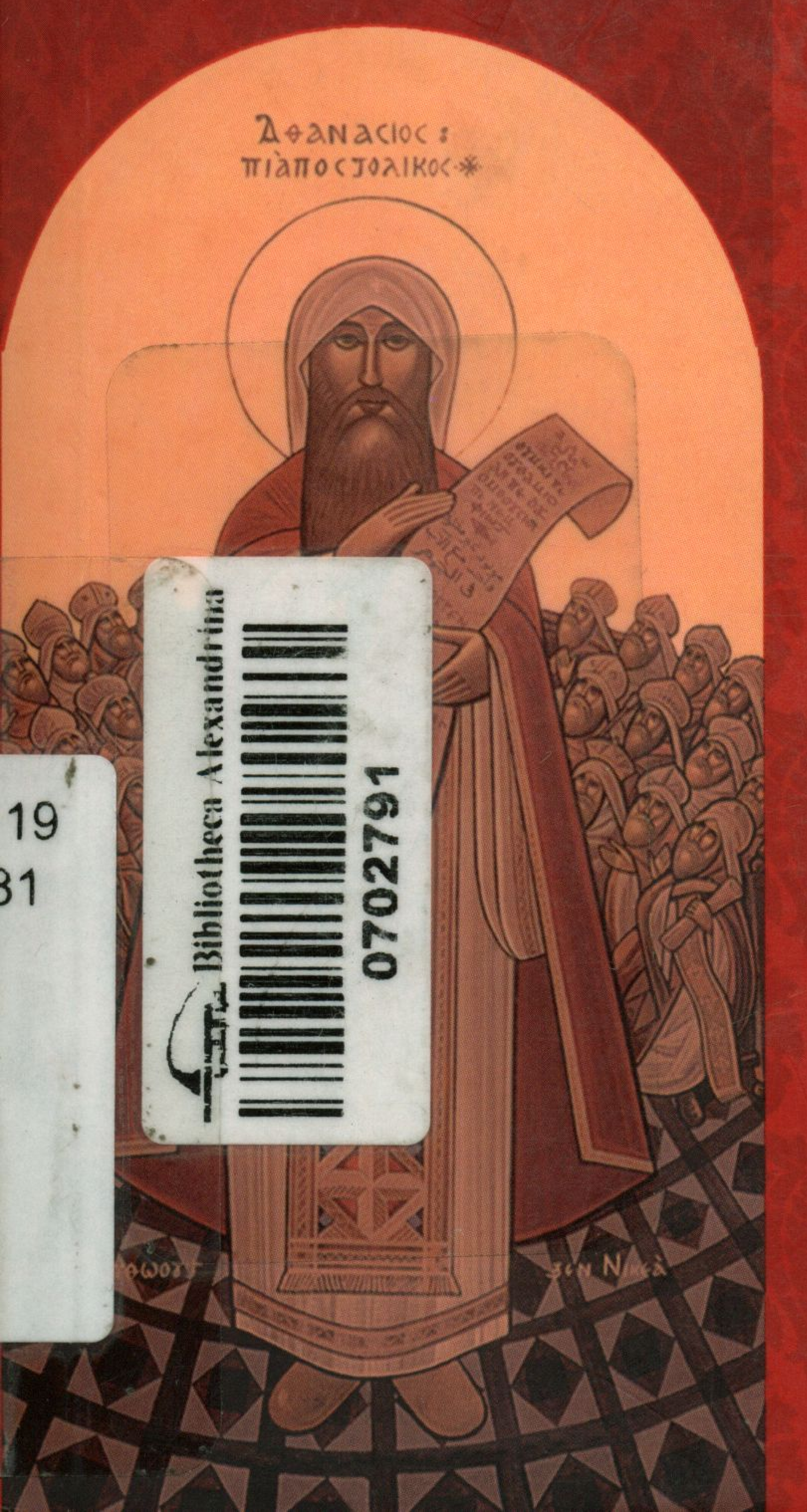
آمين تعال أيها الرب يسوع (رؤ ٢٢: ٢٠).





الدكتور جورج حبيب بباوي

* ولد في القاهرة عام ١٩٣٨
* تتلمذ على القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس) لمدة ثلاث سنوات.
* التحق بالكلية الإكليريكية ـ القسم العالي ١٩٥٧
* عُين معيد بالكلية الإكليريكية.
* درس في جامعة كامبريدج وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه ١٩٧٠
* سكرتير رابطة معاهد اللاهوت بالشرق الأوسط.
* سكرتير لجنة الحوار اللاهوتي مع الكنيسة الكاثوليكية.
* مدرس في معاهد اللاهوت الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية بمصر ولبنان.
* وكيل القسم المسائي الجامعي ـ الكلية الإكليريكية ـ القاهرة.
* مدرس بجامعة برمنجهام ١٩٨٤
* مدرس بجامعة نوتنجهام ١٩٨٤ ـ ١٩٩٩
* عميد معهد اللاهوت الأرثوذكسي ـ جامعة كامبريدج إنجلترا.
* مدرس بقسم الدراسات العليا ـ جامعة كامبريدج ـ إنجلترا.
* عميد معهد اللاهوت الأرثوذكسي ـ إنديانا ـ أمريكا.
* نشر العديد من المقالات في الدوريات والمجلات الدراسية.
* ترجم بعض كتب الآباء إلى اللغة العربية.
* خدم مع رئيس الأساقفة أنطوني بلوم ـ مطران غرب أوروبا الأرثوذكسي.
* خدم مع الأسقف كاليستوس وير أستاذ الآباء بجامعة أوكسفورد.
* حاضر في جامعات: كامبريدج ـ أوكسفورد ـ لند (السويد).
* أستاذ زائر في جامعات أمريكا.



Coptology

www.coptology.org

سعر النسخة
٩,٥ جنيه